الجزء الأول | المجلد الثالث والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق

١ كانون الثاني سنة ١٩٥٨ م
٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ

الجزء الأول | المجلد الثالث والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق

١ كانون الثاني سنة ١٩٥٨ م

٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ

جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام

تأليف أمين الدين أبي الغنائم مسلم بن محمود الشيزري

صاحب هذا الكتاب من المؤلفين الأدباء عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع في دولة الأيوبيين، واتصل بأحد ملوكهم الملك المسعود صاحب اليمن .

والمؤلف هو أمين الدين أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري، ذكره ابن خلكان (في ترجمة طغتكين بن أيوب ١/ ٢٩٨) فقال : « كان أديباً شاعراً وكان موجوداً سنة ٦١٧ وتوفي في هذه السنة أو بعدها، وكان أبوه أبو الثناء محمود نحوياً متصدراً بجامع دمشق لإقراء النحو وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير، والعماد الكاتب في كتاب الخريدة وقال توفي بعد سنة ٥٦٥ وكان جده أرسلان مملوك ابن منقذ صاحب شيزر » والصحيح أنه عاش الى ما بعد سنة ٦٢٢ يدل على ذلك أرجوزة له في التاريخ ذكر فيها حوادث العالم من خلق آدم الى سنة ٦٢٢ والأرجوزة موجودة في جمهرة الإسلام .

وقد ورد في مقدمة الكتاب أنه ألفه لخزانة صاحب اليمن الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب المتوفى سنة ٦٢٦ .

وكأن المؤلف صار من خاصة الملك المسعود فلقد ترك دمشق وسكن اليمن وأكثر من مدح الملك المسعود، وقصائده في هذا الشأن مع قصائد ابنه أحمد موجودة في الجمهرة .

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري }

تدفع مقدماً

الكتاب التاسع في الأراجيز ، الكتاب العاشر في الشكوى ، الكتاب الحادي عشر في التهاني ، الكتاب الثاني عشر في المثلث ، الكتاب الثالث عشر في الأوصاف ، الكتاب الرابع عشر في الاعتذار ، الكتاب الخامس عشر في المخمس والموشح ، الكتاب السادس عشر في الجواب والخطاب .

الكتاب الأول في المدح عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة الأعشى ميمون في مدح النبي عليه السلام وأولها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

الباب الثاني : أخبار نبوية وبشائر لمن اسمه أحمد أو محمد أو عبد الله .

الباب الثالث : قصيدة الأخطل في عبد الملك بن مروان وأولها :

خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوًى في صرفها غِيَرُ

الباب الرابع : رسالة للقاضي الفاضل في أخذ أسطول الافرنج بأسطول الملك العادل سنة ٥٨٨ .

الباب الخامس : قصيدة الحصكفي في أهل البيت وأولها :

أقوتْ مغانيهم فأقوى الجَلَدُ ربعان ِ كلٌّ بعد سكنى فدفدُ

الباب السادس : عبد الله بن عباس يصف الخلفاء الراشدين وأباه العباس في مجلس معاوية على سبيل الإجابة .

الباب السابع : قصيدة ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير وأولها :

أقفرتْ بعد عبد شمس ٍ كَدَاءُ فَكُدَيٌّ فالركن فالبطحاءُ

الباب الثامن : رسالة للقاضي الفاضل في فتح القدس .

الباب التاسع : قصيدة منصور النمري في هرون الرشيد وأولها :

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جَزَعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ

وهذه القصيدة على طولها من أجود الشعر ، ولم أجدها كاملةً إلاَّ في هذه المجموعة .

وكتاب الجمهرة في جزءين عدد صفحاته ٥٢٦ صفحة في كل صفحة ٢٩ سطراً ، وقد جعله ستة عشر كتاباً تشتمل على مختارات من النظم والنثر ، وفي كل كتاب عشرة أبواب خمسة منها للنظم وخمسة للنثر ، فالجميع مائة وستون باباً نصفها نظم ونصفها نثر . وفي آخر كل كتاب قصيدة للمؤلف وأخرى لابنه أحمد في مدح الملك المسعود . ولم يختر في هذه المجموعة الضخمة شيئاً من شعر الجاهليين ولا من نثرهم ولذلك سماها جمهرة الإسلام .

من هذا الكتاب نسخة مصورة في المجمع العلمي العربي عن نسخة مخطوطة في جامعة ليدن رقم ٤٨٠ تاريخ نسخها سنة ٦٩٧ . وفي هذه المجموعة نصوص من الأدب العالي شعراً ونثراً لا تكاد توجد تامةً في غيرها من المظان ؛ من ذلك قصيدة منصور النمري التي أولها :

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعُ   إذا ذكرت شباباً ليس يرتجعُ

وقصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي التي أولها :

فما أم سقبٍ أودعته قرارةً   من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا

وقد حققنا هذه القصيدة ونشرناها في هذه المجلة م ٣٢ ص ٥٦٣ والقصيدة الرصافية لعلي بن الجهم أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسرِ   جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وقد حققناها ونشرناها مع تكملة ديوان علي بن الجهم .

ومن ذلك رسائل نادرة ليعقوب بن اسحق الكندي ، وابن قتيبة ، ومحمد بن زكريا الرازي ، وأبي العلاء المعري ، والشريف الرضي وغيرهم . وهاك بياناً بما اشتملت عليه هذه المجموعة من الكتب والأبواب :

الكتاب الأول في المدح ، الكتاب الثاني في الغزل ، الكتاب الثالث في الافتخار ، الكتاب الرابع في الرثاء ، الكتاب الخامس في الهجاء ، الكتاب السادس في الزهد ، الكتاب السابع في العتاب ، الكتاب الثامن في المجون ،

الباب الثاني : في كسر أسطول الروم على الاسكندرية .

الباب الثالث : في الافتخار بالحرمين .

الباب الرابع : فصول لابن أبي الشخباء (١) .

الباب الخامس : قصيدة أبي فراس الحمداني التي أولها :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

الباب السادس : رسالة بفتح طبرية .

الباب السابع : قصيدة لعلوي البصرة صاحب الزنج أولها :

رأيت المقام على الاقتصادِ قنوعًا به ذلةً في العبادِ

الباب الثامن : حديث علوي البصرة .

الباب التاسع : قصيدتان لمحمود بن نعمة الشيزري والد صاحب المجموعة .

الباب العاشر : سجل عن الملك العادل بولاية قوص وأسوان .

الكتاب الرابع في الرثاء عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة دعبل الخزاعي في رثاء آل البيت وأولها :

مدارس آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفر العرصاتِ

الباب الثاني : جواب تعزية بأسد الدين شيركوه .

الباب الثالث : قصيدة لابن الرومي يرثي فيها قتلى أهل البصرة في ثورة علوي البصرة صاحب الزنج أولها :

ذاد عن مقلتي لذيذ المنامِ شغلها عنه بالدموع السجامِ

الباب الرابع : رسالة الشريف الرضي الى أبي القاسم سليمان بن أحمد .

الباب الخامس : قصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في رثاء أخيه سعيد وأولها :

(١) المذكور في كتب التراجم ابن الشخباء وهو الحسن بن عبد الصمد بن الشخباء ويقال له الشيخ المجيد ، منشيء له خطب ورسائل جيدة وله نظم . أصله من عسقلان وتوفي بالقاهرة سنة ٤٨٢ (الأعلام للزركلي) .

الباب العاشر : أبيات لصاحب المجموعة في الملك الكامل تقرأ على عدة وجوه ·

الكتاب الثاني في الغزل عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ·

الباب الأول : قصيدة عمر بن أبي ربيعة المخزومي التي أولها :

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ مبكّرُ غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجّرُ

الباب الثاني : خبر الفتى العذري وعمر بن أبي ربيعة المخزومي ·

الباب الثالث : قصيدة العكوك الكندي التي أولها :

هل بالطلول لسائلٍ رَدُّ أم لها بتكلمٍ عهدُ

الباب الرابع : يوم في دير مران لأبي الفرج الببغاء ·

الباب الخامس : قصيدة لذي الرمة في صاحبته مي وأولها :

ألا أيهذا المنزل الدارس أسلمِ وأُسقيتَ صوب الباكر المتغيمِ

وتلي هذه القصيدة قصيدة أخرى له أولها :

ألِلربع ظلّتْ عينك الماء تهملُ رشاشاً كما استن الجمان المفصّلُ

الباب السادس : حديث ومنى بنت أبي سلمة المهلبية والفتى القرشي ·

الباب السابع : قصيدة مسلم بن الوليد الأنصاري (صريع الغواني) التي أولها :

وساحرة العينين لا تعرف السحرا تواصلني سراً وتقتلني جهرا

الباب الثامن : في أخبار مسلم بن الوليد مع هرون الرشيد في هذا الغزل ·

الباب التاسع : قصيدة لديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصي أولها :

سهام لحاظٍ من قسي الحواجبِ نظمن الأسى في القلب من كل جانبِ

الباب العاشر : في ذكر القاضي يحيى بن أكثم ·

الكتاب الثالث في الافتخار عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ·

الباب الأول : قصيدة في الفخر للملك المعز اسمعيل بن الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين الأيوبي صاحب اليمن وفيها يدعي أن بني أيوب أمويون والقصيدة طويلة يذكر فيها مناقب بني أيوب وبني أمية ·

الباب التاسع : قصيدة لابن منير الطرابلسي كتبها الى الرئيس عفيف الدين المستوفي بحلب وهو مريض في حماة وقد اتصل به أنه نعي بحلب ودخلت الحشرية داره وأثبتوا ما فيها وختموا عليها ، وبعرّض ببعض اليهود أولها :

يا عفيف الدين الذي بدء صر ف به أستكفُّ صرف الزمانِ

الباب العاشر : رسالة علي بن وشاح في ذم محمد بن جعفر الجهري .

الكتاب السادس : في الزهد عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدتان في الزهد لمحمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي مطلع الأولى :

أستغفر الله من تركي وإخلالي وهفوةٍ خطرتْ مني على بالي

ومطلع الثانية :

استغفر الله العظيم وعُذْ بِهِ من شر غاوٍ في الخصام منافسِ

الباب الثاني : خطبة واصل بن عطاء في مجلس عمر بن عبد العزيز وقد تجنب فيها حرف الراء .

الباب الثالث : قصيدتان لأبي العتاهية مطلع الأولى :

لله عاقبة الأمورِ طوبى لمعتبر ذكورِ

ومطلع الثانية :

خليليّ إن الهمّ قد يتفرجُ ومن كان يبغي الحق فالحق أبلجُ

الباب الرابع : خطبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأولها :

الحمد لله فاطر الخلق وفالق الإصباح .

الباب الخامس : قصيدة لعلي بن هشام أولها :

بينا الفتى في الأرض فوق الثرى أصبح في الملحود تحت الثرى

الباب السادس : منام حمزة بن حبيب الزيات .

فما أم سقبٍ أودعته قرارةً من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا

الباب السادس : رسالة لأبي اسحق الصابي يعزي أبا الفتح بن العميد عن أبيه أبي الفضل .

الباب السابع : قصيدة الشريف الرضي في رثاء أبي اسحق الصابي وأولها :

أعلمتَ من حملوا على الأعوادِ أرأيتَ كيف خبا ضياء النادي

الباب الثامن : رسالة لابن أبي الشخباء في ولد كافي الكفاة وقد مات غريقاً .

الباب التاسع : قصيدة الرقاشي في رثاء البرامكة وأولها :

لا يفرحنّ بعيشة متنعمُ كل السرور بأهله يتصرمُ

الباب العاشر : جواب تعزية بولد شمس الدولة توران شاه بن أيوب .

الكتاب الخامس في الهجاء عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لجرير يهجو الفرزدق أولها :

لا خير في مستعجلات الملاومِ ولا في خليلٍ وصله غير دائمِ

الباب الثاني : سجل القاضي الفاضل إلى هاشم بن محمد اللواتي .

الباب الثالث : قصيدة للفرزدق يهجو بني جعفر أولها :

عرفت بأعلى رائس الفأو بعدما مضتْ سنةٌ أيامها وشهورُها

الباب الرابع : رسالة لابن أبي الشخباء في بعض الكتاب .

الباب الخامس : قصيدة لابن حجاج في رجل كبست زوجته مع ابنه أولها :

أوضح الحق منهج البرهانِ ومحا السر شائع الإعلانِ

الباب السادس : فصول لشمس المعالي قابوس بن وشمكير .

الباب السابع : قصيدة في الهجاء لابن واسانة أولها :

ويلك يا وجه الخشبْ يا جرذاً بلا ذَنَبْ

الباب الثامن : رسالة لابن أبي الشخباء .

الكتاب الثامن في المجون والدعابة عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر •

الباب الأول : قصيدة للصنوبري أولها :

شربنا في بعاذين[١] على تلك الميادين

الباب الثاني : رسالة تهنئة بمولود لقابوس بن وشمكير على سبيل المجون •

الباب الثالث : قصيدة في المجون لمحمد بن المجلي بن الصائغ الطبيب يذكر فيها أحوال الشبيبة والشيخوخة أولها :

ألمّ المشيب فأجلى أماما وأضحت حبال هواها رماما

الباب الرابع : رسالة في المجون والدعابة للقاضي الفاضل •

الباب الخامس : أرجوزة في المجون لأبي محمد الحسن بن وكيع التنيسي أولها :

يا سائلي عن أطيب الدهور وقعت في ذاك على الخبير

الباب السادس : حديث القدور وشهادة الحمير وأخبار حسان :

الباب السابع : مقصورة أبي الحكم الحكيم التي قالها في جماعة من شعراء دمشق أولها :

هاج الهوى يوم النوى جمر الجوى فالقلب موقوف على جمر الغضا

الباب الثامن : علي بن الجنيد الإسكافي وما جرى له مع المعتصم •

الباب التاسع : قصيدتان في المجون لأبي الرقعمق مطلع الأولى :

عاذلَ كم فيه تعذليني وكم إلى كم تؤنبيني

ومطلع الثانية :

عَدِّ عن قال وقيلِ وصعودٍ ونزولِ

الباب العاشر : رسالة كتبها العتبي إلى صديق له قامر بكتبه وكان لها خطر فقمر •

---

(١) بعاذين قرية من قرى حلب .

الباب السابع : قصيدة لأبي جعفر النجار أولها :

شبابٌ كلامع برقٍ رَحَلْ   وشيب كمثل غريمٍ نَزَلْ

الباب الثامن : الخطبة الرملية للمؤلف .

الباب التاسع : قصيدة لمحمد بن ابراهيم الكيراني في الزهد أولها :

شكر الإله مزيدةٌ لك فاشكرِ   وانظر إلى ألطافه وتدبَّرِ

الباب العاشر : حديث الباجي في الزهد .

الكتاب السابع في العتاب عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لأبي العلاء المعري يعاتب خاله علي بن محمد بن سبيكة أولها :

تفديك النفوس ولا تفادا   فأدنِ الوصل أو أطل البعادا

الباب الثاني : رسالة لابن أبي الشخباء في العتاب .

الباب الثالث : قصيدة لمهيار الديلمي أولها :

أروم الوفاء الصعب بالمطلب السهلِ   وأرتاد جود الحب في منبت البخل

الباب الرابع : رسالة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير يعاتب خاله .

الباب الخامس : قصيدة لأبي الطيب المتنبي أولها :

حتامَ نحن نساري النجم في الظلمِ   وما سراه على خفٍّ ولا قَدَمِ

الباب السادس : رسالة للصابي يعاتب علي ابن الأنباري .

الباب السابع : قصيدة لأبي بكر محمد (بن عيسى) المعروف بابن اللبانة (الأندلسي) في العتاب أولها :

ضحك الربيع بحيث تبكي الأربعُ   لما بكى للغيث فيها مدمعُ

الباب الثامن : رسالة للقاضي الفاضل في العتاب .

الباب التاسع : قصيدتان في العتاب للحسين بن علي بن محمد القمي .

الباب العاشر : رسالة للصابي يعاتب الخالديَّين .

ألوى بعزم تجلدي وتصبري نأي الأحبة واعتياد تذكري

الباب الثاني : رسالة للقاضي الفاضل بعث بها إلى الديوان الإمامي الناصري .

الباب الثالث : قصيدة للسري الرفّاء كتبها الى أبي اسحق الصابي يشكو سرقة الخالديَّين لشعره ويذكر إغارتهما عليه ويحذره منهما أولها :

قد أظلتك يا أبا إسحاقِ غارة الشعر والمعاني الدقاقِ

الباب الرابع : رسالة لنشوان (الحميري) يشكو ضياع دفاتره .

الباب الخامس : قصيدة للسلامي يشكو حاله وسقطةً في سكره أولها :

محاسن غضت ناظري من تعتّبا وفضلٌ نهاني وصفه أن أشببا

الباب السادس : رسالة القاضي الفاضل إلى سيف الإسلام .

الباب السابع : قصيدة لأبي اسحق الصابي يشكو زمانةً لحقته وزمانه وعجزه وضعفه وحاجته إلى الجلوس في محفة إذا أراد التصرف في حوائجه أولها :

إذا ما تعدتْ بي وسارت محفةٌ لها أرجلٌ يسعى بها رجلانِ

الباب الثامن : خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند مسيره إلى الشام أولها : أيها الناس إن الله فرض الجهاد وعظّمه ....

الباب التاسع : قصيدة لعمارة اليمني في الشكوى كتبها الى صلاح الدين الأيوبي أولها :

أيا أُذن الأيام إن قلتُ فاسمعي لنفثة مصدورٍ وأنة موجعِ

الباب العاشر : حديث مزنة امرأة مروان بن محمد مع الخيزران أم موسى الهادي وهرون الرشيد .

الكتاب الحادي عشر : في التهاني عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لمحمد بن سلطان بن حيوس يمدح ناصر الدولة ويهنيه بمولود أولها :

الكتاب التاسع في الأراجيز عشرة أبواب .

الباب الأول : أرجوزة في نظائر(١) القرآن لأبي جعفر بن أحمد السراج القارئ أولها :

الحمد لله على ما ألهما   من حمده فما يزال منعما

الباب الثاني : رسالة الخط والقلم لابن قتيبة .

الباب الثالث : أرجوزة في الفرائض .

الباب الرابع : رسالة أفلاطون في وصف النساء ترجمة محمد بن زكريا الرازي .

الباب الخامس : أرجوزة للمؤلف في التاريخ من آدم إلى زمان الخليفة الناصر سنة ٦٢٢ أولها :

الحمد لله القديم الأولِ   بلا ابتداء والأخير الأزلي

الباب السادس : رسالة يعقوب بن اسحق الكندي الى بعض الخلفاء في جواهر السيوف .

الباب السابع : ملحة الرئيس أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري في النحو أولها :

أقول من بعد افتتاح القولِ   بحمد ذي الطول الشديد الحولِ

الباب الثامن : في منافع الخواص من تصانيف الحكماء وأقوال العلماء وهي في خواص الحيوان والأشجار والأحجار والصموغ والعزائم .

الباب التاسع : أرجوزة عبد الله بن رؤبة المعروف بالعجاج أولها :

قد جبر الدينَ الإلهُ فجبَرْ   وعوّر الرحمنُ مَنْ ولّى العوَرْ

الباب العاشر : كتاب الباه ومنافعه ومضاره ومداواته لمحمد بن زكريا الرازي .

الكتاب العاشر في الشكوى عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة كتبها من الحبس عبد الملك بن إدريس الأندلسي الى ولده أولها :

(١) المراد بنظائر القرآن السور المتفقة في عدد الآيات .

الباب الثاني: رسالة للقاضي الفاضل كتبها عن صلاح الدين الى الخليفة المستضيء .

الباب الثالث : قصيدة علي بن الجهم يمدح المتوكل أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسرِ جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

الباب الرابع : في ذكر أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني (بديع الزمان) وفصول من رسائله .

الباب الخامس : قصيدة لبكر بن النطاح يتغزل ويفتخر ويمدح بها أبا دلف العجلي أولها :

وليلة جمعٍ لم أبت ناسياً لها وحين أفاض الناس من عرفاتِ

الباب السادس : خطبتان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الباب السابع : قصيدة للشماخ واسمه معقل بن ضرار أولها :

عفا بطن قَوٍّ من سليمى فعالزُ فذات الغضى فالمشرفات النواشزُ

الباب الثامن : رسائل لأبي العلاء المعري .

الباب التاسع : قصيدة لعلي بن جبلة (العكوّك) يمدح أبا دلف أولها :

ذاد وِردَ الغيِّ عن صدَره وارعوى واللهو من وطره

الباب العاشر : رسالة لأبي سهل الطوسي في ذكر الأمير أبي الفضل عبد الله ابن أحمد الميكالي وإيراد محاسن من نظمه ونثره .

الكتاب الثالث عشر في الأوصاف عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة أبي نواس الحسن بن هانئ يمدح الخصيب بن عبد الحميد ويصف الطريق أولها :

أجارة بيتينا أبوك غيورُ وميسور ما يرجى لديك عسيرُ

الباب الثاني : رسالة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير كتبها الى بعض الكتاب وكان قد أهدى إليه دواةً جعل داخلها قلماً وسكيناً ومقطّاً .

سل عن فضائلك الزمان ليخبرا فنظير ملكك ما رآه ولا يرى

الباب الثاني : رسالة القاضي الفاضل الى الإمام المستضيء يهنيه بفتح مصر .

الباب الثالث : قصيدة لأحمد بن محمد الخياط الدمشقي يمدح فخر الملك بن عمار ويهنيه بالعيد أولها :

أعطى الشباب من الآراب ما طلبا وراح يختال في ثوبي هوى وصبا

الباب الرابع : رسالة ابن أبي الشخباء الى أمير الجيوش يهنيه بكسر أطرر بن أوق .

الباب الخامس : قصيدة لأبي علي ابرون بن مهرد ? العماني يمدح مؤيد السلطان بن مكرم ويهنيه بظفره على عدوه بالمهرجان سنة ٤٠٢ أولها :

حسامك ماضٍ والملوك تجانبه وجدك عالٍ والسعود تناسبه

الباب السادس : رسالة الشريف الرضي الى الوزير سابور بن أزدشير يهنيه بعودة الوزارة إليه .

الباب السابع : قصيدة لأبي القاسم محمد بن هانئ (الأندلسي) المعروف بابن المغربي يمدح بها جعفر بن علي ويهنيه بأخذ قلعة كتامة أولها :

بلى هـذه تيماء والأبلق الفردُ فسل أجات الأُسد ما فعل الأُسدُ

الباب الثامن : رسالة للصاحب بن عبّاد .

الباب التاسع : قصيدة لابن أبي الشخباء .

الباب العاشر : خبر عمرو بن مسعدة وحائك الكلام .

الكتاب الثاني عشر في المثلث عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

(والمراد بالمثلث هنا القصيدة أو الرسالة المشتملة على ثلاثة أغراض)

الباب الأول : قصيدة للبعيث يتغزل فيها ويفتخر ويهجو أولها :

أهاج عليك الشوقَ أطلالُ دمنةٍ بناصفة الجوين أو جانب الهجلِ

الباب الخامس : قصيدة في الاعتذار لسعيد أحد الخالديَّين أولها :

نيل المطالب بالهندية البترِ لا بالأمانيّ والتأميل والقدرِ

الباب السادس : رسالة لابن أبي الشخباء يعتذر إلى وزير بلغه أنه هجاه .

الباب السابع : قصيدة لأسامة بن مرشد يعتذر إلى ابن عمه صاحب قلعة شيزر عن قول بلغه عنه أولها :

أطاع ما قاله الواشي وما هرفا فعاد ينكر منا كل ما عرفا

الباب الثامن : رسالة القاضي الفاضل الى عبد المؤمن صاحب المغرب .

الباب التاسع : قصيدة لمحمد بن نصر القيسراني يمدح الوزير جمال الدين أبا الرضا محمد بن صدقة ويعتذر إليه أولها :

لو كان سرك للوشاة معرّضا لم أغض من دمعي على جمر الغضا

الباب العاشر : رسالة من الملك بهاء الدولة بن بويه إلى الشريف الرضي .

الكتاب الخامس عشر في المخمسات عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لابن الهبارية أولها :

حيّ على خير العملْ على الغزال والغزَلْ
على العذار والكفلْ على العناق والقُبَلْ
على رياض قطربلْ

فإنها جنانُ ما مثلها مكانُ
الروْحُ والريحانُ والحور والولدانُ
والوقت فيها معتدلْ

الباب الثاني : رسالة لابن أبي الشخباء مبنية على حروف غير معجمة .

الباب الثالث : قصيدة لمهيار الديلمي خمّسها مؤيد الدولة (أسامة) بن منقذ أولها :

أسائقها للبين وهي عجولُ تأنّ فما هذا المسير قفولُ

الباب الثالث : قصيدة لخلف بن حبان المازني في وصف الفرس أولها :

نأتْ دارُ سلمى فشط المزار فعيناك ما تطعمان الكرى

الباب الرابع : ولاية الحجاج على العراق ٠

الباب الخامس : قصيدة لأبي طالب المأموني يصف داراً بناها بعض الوزراء أولها :

قد وجدنا خطى الكلام فساحا وجعلنا النسيب منك امتداحا

الباب السادس : وصف الأسد لأبي زبيد الطائي ٠

الباب السابع : قصيدة للحيص بيص في الأوصاف منها هذا البيت في إصابة المرمى :

كأن مرماه مغناطيس أنصله ففيه قبل انتحاء القصد تسديدُ

الباب الثامن : في وصف العشق ٠

الباب التاسع : قصيدة في وصف الأسد للبحتري أولها :

أجدك ما ينفك يسري لزينبا خيال إذا آب الظلام تأوّبا

الباب العاشر : رسالة للقاضي الفاضل في الأوصاف ٠

الكتاب الرابع عشر في الاعتذار عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ٠

الباب الأول : قصيدة لأبي تمام الطائي يمدح بها أبا المغيث ابراهيم أمير دمشق ويعتذر إليه من هجو بلغه عنه أولها :

شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكمُ بعدي ومحّتْ كما محّتْ وشائع من بُردِ

الباب الثاني : رسالة شمس المعالي قابوس بن وشمكير الى الشريف حمزة ابن قاسم العلوي يعتذر عن كسرةٍ كَسرَها في بعض بلاد العجم ٠

الباب الثالث : قصيدة لصردر يعتذر عن تأخر الزيارة ٠

قد آن للماطل أن يقتضى وأن يعافي الحب من أمرضا

الباب الرابع : أبو العلاء المعري يعتذر الى أبي نصر الفلاحي أيام وزارته بحلب لما استدعاه صاحبها عزيز الدولة ليجعل له دار علم ٠

يابن ودي وأين مني ابن ودي أخلقتْ ظرفه الرياسة بعدي

فأجابه البارع بقصيدة أولها :

وصلتْ رقعة الشريف أبي يعـ ـلى فقامت مقام لقياه عندي

الباب الرابع : رسالة للصابي كتبها عن الوزير محمد بن بقية إلى القاضي أبي بكر ابن قريعة يعزيه عن ثور نفق فأظهر عليه الجزع وجلس للعزاء على سبيل الهزء ، وجواب القاضي ابن قريعة :

الباب الخامس : قصيدة لأبي أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي كتبها إلى القاضي التنوخي أولها :

شوقي إلى القاضي المنيف بمجدهِ شوق يفوت الوصف أيسر حدهِ

فأجابه القاضي التنوخي بقصيدة أولها :

نفسي فداؤك والورى من بعدهِ جردت سيف صبابتي من غمدهِ

الباب السادس : رسالة كتبها قابوس بن وشمكير الى الصاحب بن عباد وجواب الصاحب .

الباب السابع : قصيدة كتبها أبو القاسم بن الطحان إلى أبي عبد الله محمد ابن ابراهيم الكيزاني أولها :

أيها العالم الذي فاق في العا لم على زعمه شيوخ الزمان

فأجاب الكيزاني بقصيدة أولها :

مَن عذيري من الغويّ المانيّ منكر الحق جاحد الفرقانِ

الباب الثامن : رسالة للصابي كتبها إلى الوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي وقد توجه إلى عمان وجوابها .

الباب التاسع : قصيدة كتبها أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي الى الصاحب بن عباد أولها :

الباب الرابع : رسالة لأبي اسحق الصابي بتحويل ميلاد عضد الدولة .

الباب الخامس : موشح لتاج الدين عثمان البلطي أوله :

وبلاه من رواغ بجوره يقضي

الباب السادس : رسالة للقاضي الفاضل بولاية الشرقية عن الملك العادل .

الباب السابع : تخميس قصيدة قيس بن ذريح التي أولها :

سقى طلل الدار التي أنتم بها حناتم وبل صيف وربيع

الباب الثامن : فصول لأبي العلاء المعري .

الباب التاسع : قصيدة مخمسة على حروف المعجم لمحمد بن ابراهيم الكيزاني أولها :

عز الدواء وألح الداء أما لأحكام الهوى انتهاء

أصبحت فيها حكم القضاء قضيتي قضية عمياء

يا رب غفران .

الباب العاشر : فصول للشريف الرضي .

الكتاب السادس عشر في الخطاب والجواب عشرة أبواب خمسة نظم في كل باب منها قصيدتان وخمسة نثر في كل باب منها رسالتان .

الباب الأول : قصيدة لأحمد بن عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي بعث بها الى الصاحب بن عباد يشكو إليه علو السن والنقرس أولها :

إلى الله أشكو ضنىً شفني وكم قبله من صبى قد شفاني

فكتب إليه الصاحب مجيباً بقصيدة أولها :

عناني من الهم ما قد عناني فأعطيت صرف الليالي عناني

الباب الثاني : رسالة للشريف الرضي بعث بها إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وجوابها :

الباب الثالث : قصيدة لابن الهبارية كتبها الى الرئيس البارع أبي عبد الله ابن الدباس أولها :

مصطلحات الاجتماعيّات النباتية

كان في الدولة السورية ، في سنوات الانتداب الأخيرة ، مستشار في وزارة الزراعة اسمه دلبس Delbes انتقل بعد جلاء الفرنسيين عن ديار الشام الى إحدى مؤسسات الأمم المتحدة . وكان رحمه الله ذا اطلاع واسع على علم النبات ، وكان عنده مَعْشَبة أي مجموعة من النبات كبيرة جمعها من أقطار الشرق الأدنى ، ولا سيما من الشام .

وفي أحد الأيام زارني وأهدى اليَّ رسالة بالفرنسية نُسخت على الآلة الكاتبة ، واشتملت على جملةٍ من مصطلحات علم الاجتماع النباتي معرفةٍ تعريفاً علمياً موجزاً ، ومرتبة على حروف المعجم . وقد أطلق عليها اسم : معجم صغير لأهم ألفاظ الاجتماعيات النباتية :

Vocabulaire des principaux termes
de Sociologie Végétale
« Phytosociologie »

ويغلب على ظني أن المشار اليه هو الذي ألف هذه الرسالة أو هذا المعجم الصغير لمؤسسة الأمم المتحدة التي كان يعمل فيها مستشاراً أو خبيرا .

وكنتُ أنعمتُ النظر في هذه الألفاظ وفي تعريفاتها ، ونقلتها الى العربية ، وضمَّنت الطبعة الثانية من «معجم الألفاظ الزراعية» عدداً منها (١) . وقد رأت لجنة مجلة مجمعنا فائدة في نشرها كلها أو في نشر جلها في المجلة لكي يطلع عليها أساتيذ النبات في جامعات الأقطار العربية وفي مدارسها الزراعية العالية .

---

(١) ورد أيضاً ذكر لبعضها في مقالي الذي عنوانه « جملة من المصطلحات النباتية » والمنشور في المجلد السادس والعشرين (سنة ١٩٥١) من هذه المجلة .

إذا الغيوم ارجحنّ باشقها وحفّ أرجاءها بوارقها

فأجابه الصاحب بقصيدة أولها :

بدت عذارى مدت سرادقها وأقسم الحسن لا يفارقها

الباب العاشر : خطاب من داعي الدعاة أبي نصر هبة الله إلى أبي العلاء المعري وجوابه .

* * *

وقد ورد في آخر الجزء الثاني ما نسخته :

«تم كتاب جمهرة الإسلام
ذات النثر والنظام بحمد الله وعونه
تأليف مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري
وكان الفراغ من نسخه في نهار السبت الثالث والعشرين من شوال
من شهور سنة سبع وتسعين وستمائة للهجرة الطاهرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم»

* * *

والكتاب على حسن خطه فيه كثير من التصحيف والغلط يحتاج تحقيق نصوصه الى جهد ودقة وروية .

خليل مردم بك

Antarctique « Région » منطقة جنوبية . — منطقة نباتية تقع جنوبيّ الدرجة السادسة والأربعين .

Anthèse تَمام التزهير أو التنوير . — الوقت الذي تنمو وتتفتح فيه جميع أجزاء الزهرة .

Anthropophiles « Plantes » نباتات أَلِيفة الإنسان . — الأنواع النباتية التي أثر فيها الإنسان بنفسه أو بغيره . والنباتات أوالف الإنسان في منطقة ما هي الأنواع التي نقلها الإنسان الى تلك المنطقة .

Aridité « indice d' » دليل القُحُولة . — صيغة تستعمل في الجغرافية النباتية لوضع الخرائط الإقليمية :

$$ق = \frac{م}{١٠ \times ح}$$

ق = قحولة

م = المطر المتوسط السنوي

ح = الحرارة المتوسطة اليومية

Association مَجْمُوعة . — جماعة من النبات لها مفهومٌ نباتي معين ، وهو أن تكون مؤلفة من نباتات معلومة وثابتة .

Basiphiles « Plantes » نباتات أليفة القواعد . — تسمى أيضاً عدوة الكلس Calcifuges فراجعها .

Biologique « Spectre » طَيف أَحْيائي أو بِيُولُوجي . — تمثيل بياني للنباتات وفقاً لتصنيفها البيولوجي ، وعلى حسب النسبة المئوية التي توجد في جماعة نباتية أو في منطقة معينة .

وفي تعبير « الطيف النباتي » الذي عرّفه رُنْكار Raunklaer سنة ١٩٠٥ تُصنف النباتات خمس فئات أساسية وهي : النباتات البارزة Phanérophytes ،

ومن المعلوم أن الألفاظ العربية الموضوعة هي الراجحة في نظري ، ولكنها لا تُعتبر ألفاظاً قد استقر الرأي عليها نهائياً ، فربما أدى فرط التقصي الى أن نبدل ببعضها ما هو أصلح منه .

ولقد حاولت عدم التصرف في التعريفات إلا قليلا . ومن الواضح أن تعريف مثل هذه الألفاظ العلمية يختلف في الطول والقصر والتركيز والتمثيل . وقد جاءت التعريفات في هذه الرسالة مركزة ومقتضبة لأنها وُضعت لأساتذة النبات لا لجمهرة القراء :

Abondance وَفْرة . غَزَارة . — تقدير العدد النسبي لأفراد كل نوع نباتي بالنسبة الى جميع الأفراد التي تشتمل عليها مجموعة من النبات .

Acaule لاساقيّ . — نبات ليس له ساق ظاهرة ، أو له ساق صغيرة جداً حتى لكأن الأوراق قد وُلدت من الجذر .

« Accessoires « Plantes نباتات تابعة أو ثانوية . — النباتات التي لا يقل مقدارها عن ٢٥ في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة . (من ألفاظ الاطّراد Constance . انظر هذه الكلمة) .

« Accidentelles « Plantes نباتات طارئة . — النباتات التي يقل مقدارها عن ٢٥ في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة . (من ألفاظ الاطّراد Constance . انظر هذه الكلمة) .

Alliance رابطة . — وَحدة عالية في الاجتماعيات النباتية ، وهي جملة المجموعات النباتية التي لها تركيب نباتي متماثل ، وفيها عدد من الأنواع النباتية المشتركة .

« Anémophiles « Plantes نباتات رِيحيّةُ التَّلقيح أو الإلقاح . — النباتات التي تنثر الريحُ حبوبَ لقاحها فتلقح البُيَيضة « البُذَيرة » في مدقة الزهرة .

Climax قِمَّة . أَوْج . — منتهى ما تبلغه المجموعات النباتية في تطورها المترقي . وهو التجمع الإقليمي النهائي .

وتُدْرَك القمة «أو الأَوج» عندما تكون التربة والنباتات التي تغطيها قد بلغت حالة التوازن مع الإقليم .

Compagnes « Plantes » نباتات مرافقة . — درجة من درجات الأُلفة Fidélité فراجعها .

Constance إطِّراد . — وجود أفراد من النبات ، وجوداً منتظماً ، في بيان مجموعة نباتية . وفي صيغة الاطراد هذه تصنَّف نباتات المجموعة ثلاثة أصناف : مُطَّرِدة Constantes ، وتابِعة Accessoires ، وطارئة Accidentelles (انظر الكلمات الفرنسية) .

Constantes « Plantes » نباتات مُطَّرِدة . — النباتات التي لا يقل مقدارها عن خمسين في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة (انظر Constance) .

Cryptophytes « Plantes » نباتات خَفِيَّة . — نباتات عشبية تكون أعضاؤها التناسلية في التراب . وهي ثلاثة أشكال : نباتات أرضية Géophytes ، ونباتات مَنْقَعِيَّة أي نباتات المناقع Hélophytes ، ونباتات مائية Hydrophytes . (انظر الفرنسيات) .

Dispersion تَبَدُّد . تَبْدِيد . — صيغة في علم الاجتماع النباتي تستعمل في بيان تَوَزُّع الأنواع النباتية . ومن حيث الإحصاء يكون التبدد نظامياً أو قل كفائياً ، عندما يكون التوزع موافقاً لقوانين الاحتماليَّات ؛ ويكون التبدد تحت الكفاء عندما يكون التوزع أكثر انتظاماً ، كما في الكروم وبساتين الفواكه ؛ ويكون التبدد فوق الكفاء في الحالة المخالفة .

والنباتات اللاطئة Chaméphytes ، والنباتات نصف الخفية Hémicryptophytes، والنباتات الأرضية Géophytes ، والنباتات البزرية Thérophytes (راجع هذه الكلمات) .

« Facteurs » Biotiques عوامل حَيَوِيَّة أو أحيائية . — العوامل التي يتعرض لها النبات فتؤثر في حياته (كالتكافل ، والتطفل ، والتنازع بين الأنواع ، والتجمع في مجموعات) .

« Plantes » Calcicoles نباتات أليفة الكلس . نباتات كلسية . — النباتات التي تستطيع النمو في أتربة مقدار الكلس فيها كبير .

« Plantes » Calcifuges نباتات عدوة الكلس . نباتات لا كلسية . — النباتات التي لا تستطيع النمو إلا في أتربة كلسها قليل .

« Plantes » Caractéristiques نباتات مُتَمَيِّزة . صيغة تستعمل في تعيين نوع الألفة Fidélité «انظر هذه الكلمة» . والنباتات المتميزة ثلاثة أشكال : مانعة أو محصرة Exclusives ، ومُنْتَقِية Électives ، ومُرَجِّحة Préférantes «انظر الفرنسيات» .

« Plantes » Chamephytes نباتات لاطئة — . نباتات تكون براعمها الهوائية على أقل من ٢٥ سنتيمتراً فوق سطح الأرض .

« Plantes » Cheiroptérophiles نباتات خُفَّاشية التلقيح . — نباتات يزور الخفاش أزهارها فيسهل تلقيحها .

« Plantes » Chionohpiles نباتات ثلجية . — نباتات تتحمل البرد وتستطيع النمو تحت طبقة غليظة من الثلج .

Chorologie علم الكُوَر . كُوْرِيَّات . — شعبة من علم الاجتماع النباتي تشمل جميع المعلومات المتعلقة بالموقع الجغرافي للمتعضيات ، وبتجمعات هذه المتعضيات[1] .

---

(١) الكُوَر جمع كورة العربية أو قل المعربة قديماً . والفرنسية من اليونانية بمعنى علم الكور او الأقطار أو الأصقاع .

« Epiphytes « Plantes نباتات مُعَايِشة أو مُلازِمة . — النباتات التي تعيش على جذع الشجر وفروعه ، من دون أن يكون لها أعضاء خاصة تُنشبها في أنساج الشجر الحية .

Étages de végétation طَبَقات النبات . — مُسْتَطِيلات أو نُطُق من النبات من انواع مختلفة ، كلما ارتقى المرء في الجبال يرى بعضها فوق بعض .

« Étrangères « Plantes نباتات غريبة . — أنواع من النبات لا تظهر إلا عفواً في جماعة معينة . (اصطلاح يستعمل في تصنيف النبات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجعها) .

« Exclusives « Plantes نباتات مانعة أو مُنْحَصِرة . — الأنواع النباتية التي تكاد تنحصر علاقتها بجماعة من النبات معينة (من اصطلاحات تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجعها) .

والنباتات المنحصرة جزء من النباتات المتميزة Caractéristiques فراجعها .

Facies végétal هَيْئة نباتية . — المنظر العام لنبات منطقة بعينها .

Fidélité ألفة . — اصطلاح يستعمل لتصنيف الأنواع في بيانات « كشوف » الاجتماعيات النباتية .

ويجعلون الألفة على خمس درجات : (١) النباتات المُنْحَصِرة أو المانِعة Plantes exclusives، (٢) والمُنْتَقِية Électives، (٣) والمُرَجِّحة Préférantes، (ونباتات هذه الدرجات الثلاث تسمى المتميزة Caractéristiques ، (٤) واللامُبالِيَة Indifférentes ، أو قل المرافقة Compagnes ، (٥) والطارِئة Accidentelles ، أو قل الأجنبية Étrangères (انظر الفرنسيات) .

Fréquence تَواتُر . تَرَدُّد . — النسبة المئوية لنوع نباتي معين في بيانات الاجتماعيّات النباتية .

Dominance غَلَبة . تَغَلُّب . — تقدير المساحة التي تشغلها نباتات من نوع واحد بالنسبة الى المساحة التي تشغلها أفراد النباتات جميعا .

Écologie علم البِيئة . بِيئيّات . — دراسة الحياة الاجتماعية للكائنات الحية ، وتحليل تجمعاتها التي حصلت بتأثير العوامل الطبيعية والإقليمية فيها ، وعلى حسب تطورات تلك الكائنات في العصور السالفة .

Ectodynamomorphes «Sols» تُرَب خارجية التكوُّن أو التشكّل . — الأتربة التي يكون تكوّنها تابعاً على الأخص للإقليم وللنباتات المرتبطة به . وهي التُرَب « الناضجة » التي تكون في مناطق النبات الإقليمية .

Édaphiques « Facteurs » عوامل تُرابيّة . — عوامل مؤثرة في كيان النباتات ، تُعزى الى طبيعة التربة والى المؤثرات الفيزياوية — الكيمياوية .

Électives « Plantes » نباتات مُنتَقية . — نباتات مُتَمَيِّزة Caractéristiques (انظر الفرنسية) تقيم خاصةً في جماعة نباتية معينة ، ولكنها تشاهَد أيضاً في جماعات أخرى .

ويستعمل هذا الاصطلاح في تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité (راجع الفرنسية) .

Endémiques « Plantes » نباتات مُتَوَطِّنة أو مُستَوطِنة . — نباتات أو مجموعات من النبات تنمو في منطقة معينة .

ويستعمل هذا الاصطلاح في تعيين منابت الأنواع النباتية .

Endodynamomorphes «Sols» تُرَب داخلية التكوُّن أو التشكّل — الأتربة التي تتكون من تفتت الصخرة الأم خاصةً . فالصحاري ، والتُرَب المتجمدة ، وترب الجبال العالية التي نباتاتها قليلة ، كلها تعد داخلية التشكل .

Entomophiles « Plantes » نباتات حَشَرِيّة التلقيح . — النباتات التي يكون تلقيحها وقفاً على حشرات تحمل اللقاح الى ميسمات الزهر .

Hygrophytes « Plantes » نباتات الرُّطوبة . نباتات البيئات الرطبة . — النباتات التي تكيفت للعيش في الأقاليم أو الأتربة الرطبة .

Indifférentes « Plantes » نباتات لامُبالية . — النباتات المرافقة Compagnes (راجعها) التي تنمو كثيراً أو قليلاً في جملة جماعات نباتية . ويُستعمل هذا الاصطلاح في تصنيف النبات على حسب مدلول الألفة أي Fidélité فراجعها .

Landes نبات البَرَاح . — النباتات التي تنمو في الأتربة الحامضة بعد إبادة الحراج ، أو في الأراضي الزراعية التي بُوِّرت لنفاد خصبها [١] .

Malacophiles « Plantes » رِخْوِيَّةُ التلقيح . — النباتات التي تقوم فيها بعمل التلقيح حيوانات من الرِّخْوِيَّات المَعَدِيَّات الأرجل .

Maquis غَيْطَلَة [٢] . — تطلق الفرنسية على الحَرَجة المنحطة في التربة الرملية ، حيث قام مقام أشجارها المتميزة ، كالبهش أي بلوط الفلين مثلاً ، أنواعٌ مختلفة من الجنبة تألفت منها أعياص Broussailles كثيراً ما تكون ملتفة .

Mégathermes « Végétaux » نباتات الجُرُوم . نباتات الحرّ . — النباتات التي تحتاج دائماً الى حرارة تزيد على عشرين درجة مئوية .

Mésologie مِيزُولُوجية . — جزء من البيولوجية النباتية يبحث في العلاقات بين المتعضيات النباتية والبيئة التي تعيش فيها [٣] .

Mésophytes « Plantes » نباتات الرطوبة المعتدلة . — نباتات لا تستطيع العيش إلا في أقاليم معتدلة لا كثيرة اليبوسة ، ولا كثيرة الرطوبة . وهي فئة من النبات لا يمكن في التصنيف جعلها في جملة نباتات البيئات الرطبة ، ولا في جملة نباتات الصحراء .

---

(١) تطلق الفرنسية على تلك الأشكال من الأرضين، وعلى نباتاتها. والبراح اصطلاح من وضعي.
(٢) الغيطلة اصطلاح من وضعي .
(٣) كثيراً ما تستعمل الفرنسية مرادفةً لعلم البيئة Écologie .

Géophytes « Plantes » نباتات أرضية . — نباتات خفية Cryptophytes (انظر هذه الكلمة) تكون أعضاؤها التناسلية في الأرض .

Halophiles « Plantes » نباتات ملحية أو أوالف الملح . — الأنواع التي تعيش في أتربة كثيرة الملح أي كلورور الصوديوم . وتكثر منابت النباتات الملحية في شواطئ البحار والبحيرات المالحة وفي المناطق الصحراوية « نصف القاحلة » .

Halophytes نباتات ملحية . — اسم يطلق على أوالف الملح من النبات (وهي النباتات السابق ذكرها) .

Hékistothermes « Végétaux » نباتات الصرود . — أنواع من النبات تنبت في درجة من الحرارة تحت الصفر .

Héliophiles « Plantes » نباتات شمسية . — أنواع نباتية لا تبلغ تمام نموها إلا كانت أشعة الشمس تقع عليها .

Hélophytes « Plantes » نباتات المناقع . — نباتات خفية Cryptophytes (انظر هذه الكلمة) تكون أعضاؤها التناسلية في حمأ المناقع .

Hémicryptophytes « Plantes » نباتات نصف خفية . — نباتات عشبية تكون أعضاؤها التناسلية على سطح التربة أو تحت سطحها قليلاً ، وتكون تلك الأعضاء مصونة بحراشف أو بحطام من الورق .

Holarctique « Région » المنطقة الشمالية الكاملة . — أصقاع شمالية متصلة تمتد في العالم القديم والعالم الجديد ، فهي في أوربة ما يقع شمالي البحر الأبيض المتوسط ، وفي آسية ما يقع في سيبرية وفي الصين الشمالية ، وفي أميركة ما يقع في القسم الشمالي من الولايات المتحدة وفي كندة .

Hydrophytes «Plantes» نباتات مائية . — النباتات الخفية Cryptophytes (راجع هذه الكلمة) التي تكون أعضاؤها التناسلية في الماء .

(١) التربة في مكانها : الآفاق المتتابعة للتربة ، وبنيتها ولونها وشكلها ونباتها .
(٢) التربة في نماذج : تركيب التربة الفيزياوي والكيمياوي والمعدني ، ونشوء التربة من الصخرة الأم (الأصلية) ، وتصنيفها النشوئي ، وما حصل فيها من تبدلات جعلت لها صفات خاصة بتأثير عوامل الجيولوجية وفيزياء الأرض ونظم الأمطار والحرارة .

Périodicité دَوْرِيَّة . — مدة تمثُّل الأنواع النباتية . وهذه المدة تمكننا من تقدير تزاحم الأنواع في دورة نباتية .

PH (ت ١٠) أو PH . — رمز تفاعل التربة (القلوية — الحمضية) . ويرتكز هذا التفاعل على التوازن الذي يحصل بين كمية يونات[1] H ويونات OH . ويكون لكل مجموعة نباتية PH معين .

Phanérophytes « Plantes » نباتات بارزة . — نباتات شجرية أو جَنْبِيَّة[2] تكون أعضاؤها النابتة (أي براعمها) في رؤوس نوامٍ تعلو أكثر من ٢٥ سنتيمتراً فوق الأرض .

Phénologie « Phénoménologie » علم الظواهر . ظاهِرِيَّات . — دراسة الظواهر البارزة في حياة أحد النباتات (تفتُّح البراعم ، الإيراق ، الإزهار ، نضج الثمر الخ) .

Photométrie végétale قياس الضوء النباتي . — دراسة شدة الضوء وقياسها وتأثيرها في نمو النباتات .

Phytogéographie جغرافية نباتية . — جغرافية النباتات ودراسة توزُّعها على سطح الكرة الأرضية .

Phytoplankton نباتات مَغْمُورة أو مُعَلَّقة . — جماع المتعضيات النباتية التي تعيش معلقةً في المياه الحلوة أو المالحة[3] « لا طافية ولا راسبة » .

---

(١) اليونة تعريب ion ويسميها بعضهم الشاردة .
(٢) نسبةً الى جَنْبة أي Arbuste .
(٣) في الأصل : التي تعيش على سطح المياه الحلوة أو المالحة .

Mésothermes « Plantes » نباتات الحرارة المعتدلة . — نباتات تألف درجة حرارة متوسطة مقدارها ١٥ درجة مئوية .

Messicoles «Plantes ou Associations» نباتات أو مجموعات زَرْعِيَّة . — نباتات أو مجموعات من النباتات الطارئة تنمو مع الزرع في الحقول (وتسمى أوالف الزرع) .

Microclimat إقليم صغير . — إقليم خاص ببقعة أو بمنطقة معينة . والإقليم الصغير عامل مؤثر في حياة النبات الذي ينمو تحت شجر الغابات . فالإقليم الصغير لحَرَجة من الصنوبر مثلاً غير الإقليم الصغير لحرجة من البلوط .

Microflore نباتات دقيقة . — النباتات المكروبية في التربة ، وهي البكتريات الهوائية واللاهوائية .

Microthermes « Végétaux » نباتات البَرْد أو القُرّ . — نباتات تنمو بدءاً من درجة الصفر المئوية .

Nitratophiles « Plantes » نباتات نِترَاتية أو أليفة النِّتْرات . — نباتات تعيش في الزبل المتَمَرِّب وفي النفايات التي تكون غالباً على مقربة من البيوت . وهذه النباتات إذا أحرقت يكون في رمادها مقدار كبير من أملاح البوطاس ، ولذا سُميت أليفة النترات .

Ordre رُتبة . — وحدة عليا في الاجتماعيّات النباتية . وهي جملة من الرابطات Alliances (انظر هذه الكلمة) تميزت بعدد من الأنواع النباتية المشتركة .

Ornithophiles « Plantes » نباتات طَيْرِيّة التلقيح . — النباتات التي تزور الطير أزهارها فتسهل تلقيحها .

Orophytes « Plantes » نباتات القِنان أو الضُهُور أو الأعلام . — النباتات التي تنبت على قنة الجبال الشاهقة أو في الأماكن الكبيرة الارتفاع .

Pédologie علم التراب . تُرابيّات . — جزء من علم التربة Science du sol تُدرس فيه الأمور الآتية :

« Séries » Regressives متسلسلات متدنية . — متسلسلات مجموعات نباتية تبتعد عن القمة .

Relevé Phytosociologique بيانُ الاجتماع النباتي . بيانٌ « أو كشفٌ » اجتماعيٌّ نباتي . — العمل الرامي الى بيان جميع الأنواع النباتية التي تعيش في مكان معين وفي مساحة معينة ، والى تصنيف تلك الأنواع على حسب خصائصها الاجتماعية (الحيوية والكثافة والتغلب والوفرة والتواتر والالفة والاطراد وقابلية الاجتماع « انظر هذه الكلمات ») .

« Plantes » Rudérales نباتات الدِّمَن . خَضْراء الدمن . — النباتات التي ترجح العيش في الدمن على مقربة من المساكن .

« Plantes » Saprophytes نباتات رِمِّيَّة . — النباتات التي تعيش على المتعضيات النباتية البالية ، وهي ترتبط بها بخيوط من الأمشاج الفطرية غالبا .

Savane سَوَانة [1] . — يطلق هذا الاسم على المروج البرية الواسعة التي تتاخم منطقة الأحراج الاستوائية .

Savart ساوار [2] . — أرضون لا تزرع تُتخذ مراعيَ . والنباتات المختصة بالساوارات تنبت غالبًا في أتربة كلسية .

« Plantes » Saxicoles نباتات صَخْرِيَّة . نباتات الصخور . — النباتات التي تعيش على الصخور ، وتكاد تكون كلها من الأشنة والطحلب والحزاز .

« Plantes » Sciaphiles نباتات ظِلِّيَّة . نباتات الظل . — النباتات التي تعيش في الظل أو في ضوء شمسي ضعيف .

« Plantes » Sclérophylles نباتات صُلْبة الوَرَق . — نباتات أوراقها غليظة قاسية . وهذه النباتات يكون لها ضغط تناضحي يكاد يكون ثابتا .

---

(١) اسم يطلق على تلك المروج في الأنتيل وغيانة ، وقد اقتبسته الفرنسية من الاسبانية وعربناه .

(٢) يطلق هذا الاسم في شمبانية من أعمال فرنسة على الأراضي الطباشيرية العقيرة وقد عربناه .

وتكون غالباً أشنة (Algues وتسمى الطحالب في مصر) خيطية أو مجهرية ·

Phytosociologie علم الاجتماع النباتي · اجتماعيّات نباتية · — دراسة المجموعات النباتية (راجع هذا الاسم) · والقوانين التي تنظِم اجتماع الأنواع في مجموعات ·

« Associations » Planktoniques مجموعات مُعلّقة · — مجموعات النباتات المنسوبة الى النباتات المعلقة أو المغمورة ·

« Analyse » Pollinique تحليل لَقاحيّ · — طريقة تُعيَّن بها النسبة المئوية لحبات اللقاح ، في المستويات المختلفة من المَخثّات (المطرَبات Tourbières) · وهذا التحليل اللقاحي يسهل الكشف عن تاريخ النبت في العصور الجيولوجية الغابرة ·

Pozdol بُزْدُول · — (معربة) يطلق هذا الاسم على أتربة ضاربة الى بياض تقوم عليها حراج روسية الشمالية وسيبرية · والبزدولات أو قل التُّرب الرمادية مختصة بالأحراج ·

« Plantes » Préférantes نباتات مُرَجِّحة · — هي نباتات مُتَمَيِّزة Caractéristiques (انظر هذه الكلمة) تكثر كثرة كبيرة أو صغيرة في جملة مجتمعات نباتية ، ولكنها ترجح منها مجتمعاً معيناً أي جماعة معينة · (اصطلاح يستعمل في تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجعها) ·

Profil جانِبيّة[1] · — طريقة تصوير نَهجي لمقطع من الأرض ؛ وهو يوضح وجود التوازي بين التبدلات التي تحصل في النباتات والتبدلات التي تحصل في العامل السائد ·

« Séries » Progressives مُتَسلسلات مُتَرقّية · — متسلسلاتُ مجموعاتٍ نباتية تسير في اتجاه القمة « أي الأوج Climax » ·

(١) الجانبية عن مجمع اللغة العربية ج ٤ ، وكذلك النهج بمعنى Schéma .

Topographiques « Facteurs » عوامل طُبُّغْرافِيَّة . — الشروط الطبغرافية التي تؤثر في حياة النباتات وفي توزيعها (ارتفاع الأرض وميلها ومعرضها ومياهها) .

Toundras تَنْدَرة . — (معربة) اسم يطلق على مروج في المنطقة القطبية يعيش نباتها في تراب يصاب بالصقيع في معظم أيام السنة .

Tropophiles « Forêts » أحراج المناطق المعتدلة . — يطلق هذا الاسم على أحراج تعيش في المناطق المعتدلة الحرارة ، وتتألف من أشجار أوراقها مُعْبِلة .

Tropophytes « Plantes » نباتات مُتَحَمِّلة . — أنواع نباتية تكيفت لتعيش في بيئة تتعاقب فيها فصول كثيرة اليبوسة وفصول كثيرة الرطوبة . وهي تعد من « نباتات الصحراء » ومن « نباتات الرطوبة » على السواء .

Vitalité . — لفظ يدل على درجة النمو والغضاضة التي تبلغها الأنواع المختلفة في مجموعة نباتية . فعندما تتوفر لأحد الأنواع أصلح شروط البيئة تبلغ وظائفه الحيوية أقصى نشاطها وتصبح دورته التطورية على أتمها .

Xérophytes « Plantes » نباتات صَحْراوِيَّة . نباتات الصحراء . — النباتات التي ألفت الأقاليم اليابسة .

Xérothermiques « Associations » مجموعات صَحْراوِيَّة حَرارِيَّة . — جماعات نباتية تعيش في مناطق قاحلة كثيراً أو قليلاً ، شمسها تسطع في مدة تكاد تكون طويلة .

Zonation تَمَنْطُق [1] توزُّع مِنْطَقِي . — توزُّع النبات في مناطق بين القطبين وخط الاستواء . ويحصل هذا التوزُّع لاختلاف الحرارة على حسب خطوط العرض .

مصطفى الشهابي

(١) ليس للتمنطق هذا المعنى في كتب اللغة . ومن المفيد إقراره .

Sociabilité قابلية الاجتماع . اجتماعيّة . — الشكل الذي تتجمع فيه أفراد كل نوع نباتي . وتُصنّف النباتات خمسة أصناف بموجب مدلول قابلية الاجتماع وهي :

(١) النباتات المنفردة — Plantes isolées
(٢) النباتات المتجمعة فِرَقا — 〃 en groupes
(٣) 〃 〃 قِطَعا — 〃 en troupes
(٤) 〃 〃 مستعمرات صغيرة — 〃 en petites colonies
(٥) 〃 〃 عمارات — 〃 en peuplements

Stade de végétation طَوْرُ النبات . — كل مرحلة متميزة من مراحل تعاقب المجموعات النباتية .

Steppe سُهْب . — اسم يطلق على المروج الواسعة في روسية الجنوبية . وتكون النجيليات أهم نباتات السُهُوب .

Stratification تَطَبُّق . تَنَضُّد . — تصنيف بدائي للنباتات تُقسم فيه أقساماً أربعة :

الطبقة الشجرية — Strate arborescente
〃 الجَنْبِيَّة (١) — 〃 arbustive
〃 العشبية — 〃 herbacée
〃 الطحلبية « الحزازية في مصر » — 〃 muscinale

Succession تَعاقُب . — تعبير يطلق على جميع التبدلات التي تنتهي الى حلول عمارة نباتية مكان عمارة أخرى في صقع معين .

Thérophytes « Plantes » نباتات بزريّة . — نباتات عشبية حولية تستأنف الحياة ببزورها .

(١) نسبة الى الجَنْبة Arbuste .

ثم أخذ إيمانهم يضعف ويهن ، وكان في عدادهم والدي . وقد رد عليهم آسين في كتابه « تاريخ معضلة ونقدها » - Historia y critica de una polemica - ببراهين حية مقنعة ، وشيجة الاتصال بموضوع الجدل . ثم ما عتمت حدة الجدل أن خفت وانتهى الأمر ، كعادة الأمور في مثل هذه الحال ، بأن خلف النزاع وراءه عدداً من المسائل يحيط بها سوء التفاهم وعدم الوضوح .

إلا أن التحامل المبدئي على العالم « الإسلامي العربي » الغريب البعيد في لغته وتقاليده ومكانه وحضارته ظل قائماً لا يقهر . وكان آسين يعتقد اعتقاداً راسخاً أن معارضة آرائه ، ولا سيما من قبل الإيطاليين - وهذا أمر كان مطابقاً للحقيقة فعلاً - لم يكن الباعث الوحيد على التبلد الذهني ، أو الفزع من رأي مستجد ، أو التصلب الفكري أمام الحقيقة المرة يُكْشَفُ عنها لأول مرة ، وانما كان بالإضافة الى ذلك كله التعصب الثقافي القومي ، والانصراف التام الكلي للدفاع بأي ثمن عن مجد قومي امتدت اليه يد الانتقاص والتجريح بعد أن ظلت أصالته وعظمته لا يرقى اليهما شك أو نقد حتى ذلك الحين . وقد بذل آسين عناية شديدة في نهاية كتابه ليؤكد بأن مجد دانتي الشعري لم تكن لتنتقص من قدره تلك الصلة الوشيجة المستمرة التي آمن هو أنه اكتشف وجودها بين الصورة التي قدمها دانتي عن العالم الآخر وبين فكرة المعراج وفلسفة الحشر والنشر الإسلامية ، وأردف قائلاً ان اعتزاز الإيطاليين بالاصالة المطلقة لقصيدتهم المقدسة وما انتاب هذا الاعتزاز نتيجةً لنظريته إنما هو الذي أوحى برد الفعل الايطالي أكثر من أي دافع آخر سواه .

فاذا كان هناك والحالة هذه من يعتبر العصبية القومية الايطالية العقبة الأساسية التي حالت دون قبول افتراض آسين ، فعلى مثل هذا أن يدرك أن الفكرة الايطالية في فلسفة النقد والجمال ، هذه الفكرة التي ذاع صيتها في سائر أنحاء أوربة ، هي التي تأبى علينا ، نحن معاشر الايطاليين ، أن نقابل بالفتور مشكلة

ضوء جديد على دانتي والإسلام (١)

أربع وثلاثون سنة قد انقضت منذ أن عُرِض، على الاكاديمية الاسبانية، كتاب تقدم به عند انتمائه للاكاديمية (Discorso de recepcion)، المستشرق المختص بالدراسات العربية المدعو «ميچويل آسين بلاسيوس»، وكان في شرخ شبابه آنذاك. ولا أزال أذكر الى الآن الاثر الذي تركته في نفس والدي قراءة الكتاب المذكور المسمى «فكرة المعراج الإسلامية في الكوميديا الإلهية»-Escatologia musulmana en la Divina Comedia- وهو أثر امتزج فيه الإعجاب بالدهشة، وكاد يبلغ حد الفزع بالرغم من أن والدي كان من أوائل الذين قاموا بنشر آراء آسين في إيطاليا؛ ذلك أن الطرافة والجرأة واتساع الافق التي اتسم بها افتراض آسين، والنتائج التي توصل اليها، أحدثت وقعاً شديداً. ولا أزال أحمل في ذهني ذكريات غير مكتملة الوضوح عن الأصوات المتنافرة التي ارتفعت في نقد المستشرق الشاب، وفي نقد دانتي في جو الحماس المحموم الذي تميزت به احتفالات عام ١٩٢١ بمرور ستمائة سنة على وفاة دانتي، كما اني أحمل ذكريات مبهمة عن حماس المؤمنين بنظرية آسين، وخيبة الأمل المريرة التي مني بها مقدسو دانتي، والأصداء العميقة المتلازمة لكل من التأييد والاستنكار؛ هذه المشاعر جميعها أثارها كتاب آسين مما لم يسبق اليه أي سفر آخر طيلة مائة عام. ثم ما لبثت أن طغت في كل مكان أصوات المعارضين الذين لم يؤمنوا بنظرية آسين ممن اعتمدوا في ذلك على الحجة أو المنطق أو من الذين آمنوا في أول الأمر

---

(١) بحث للمستشرق الإيطالي «فرانسسكو غابريلي» ترجمه الأستاذ موسى الخوري .

دانتي ، ابن فلورنسة البكر ، وكذلك نوه آسين باحتمال لم يتمكن من دعمه بالوثائق وهو أن يكون «ألقيري دانتي» قد وقع على نصوص في فلسفة الحشر الإسلامية في بعض الترجمات ، وأن هذه الترجمات قد تكون مما حمله معه برونيتو لاتيني Brunetto Latini عند عودته الى مقاطعة توسكاني بايطاليا بعد انتهاء سفارته لدى ملك اسبانيا في عام ١٢٦٠ م ، وقد كانت هذه النقطة الأخيرة بالذات ، أي الوسيلة التي انتقلت عن طريقها فكرة الإسلام عن العالم الآخر الى دانتي ، هي التي ظلت الى وقت قريب مشكلة مبهمة تؤلف الحلقة المفقودة في السلسلة التي أحكم رباطها آسين ، حلقة حلقة ، بنفاذ وتعمق لا مثيل لهما ، بين اسبانيا العربية - اليهودية - المسيحية في القرن الثالث عشر ، وايطاليا في القرن الرابع عشر .

لقد أصبح معروفاً الآن بعد انقضاء أكثر من ثلاثين عاماً على عرض المشكلة لأول مرة أن الحلقة المفقودة ، قد عثر عليها . ذلك أن عالمين أحدهما اسباني والآخر ايطالي ، (وقد أمسك كل منهما بأحد طرفي السلسلة مستقلاً عن الآخر وغير عارف بجهوده حتى النهاية) ، نشرا خلال هذه السنوات النصين اللاتيني والفرنسي لكتاب اسباني عربي يدور حول فلسفة الحشر العربية الإسلامية . وقد ثبت أن هاتين الترجمتين كانتا معروفتين في ايطاليا في القرن الرابع عشر ؛ وهكذا تظهر لنا مشكلة دانتي والإسلام تحت ضوء جديد كل الجدة . وقد أسميت هذا الكتاب الفذ كتاب (المعراج أو كتاب معراج محمد) وفقاً للأسماء المتعددة التي عُرف بها باللاتينية والفرنسية القديمة والايطالية . وقد تم وضع الكتاب - كما كان متوقعاً بل محتوماً - في بلاط الفونسو بمدينة اشبيلية وبأمر الملك نفسه ، الذي دُعي بحق ملك الدينين أو الأديان الثلاثة ، والذي تصدق فيه هذه الصفة أكثر مما تصدق في جده ، فاتح طليطلة . وكان ابرهيم الفقين ،

لا تمت بصلة الى سمو فن دانتي وصفته الشعرية الفذة ، حتى لو كان دانتي مديناً لابن عربي بكل ما اعتقد آسين أنه مدين له به (وسنرى فيما بعد أن تنبؤات آسين قد ثبتت صحتها في اتجاه آخر) ، فلا ينبغي لنا نحن الإيطاليين من عشاق الشعر أن يخطر ببالنا قط أنه قد ينشأ عن هذا أي انتقاص ، مهما ضؤل ، لعظمة دانتي في الناحية التي وهبنا إياها على وجه ليس له بديل أو مثيل ، ألا وهي الناحية الشعرية . فدانتي الشاعر لا يرقى اليه لوم أو تجريح ، وقصيدته قد تقبل النقد إلا من وجهة النظر الفنية الجمالية ؛ والمستشرق الاسباني العظيم كان في مقدمة من أدركوا هذه الحقيقة البسيطة وأعلنوها . والواقع أن أخطر الانتقادات التي وُجهت الى كتاب آسين كانت تتصل بنواح أخرى غير هذه التي ما كانت لتعتبر وجهة نظر شرعية محققة ، وعلى هذا الأساس وحده نشأت أخطر الشكوك بصدد افتراضات المؤلف . فهل كان دانتي يعرف من اللغة العربيـة ما يؤهله للاطلاع على المواد التي استطاع آسين البحاثة العالم أن يبرزها للمقارنة بقصيدته ؟ وهل كان في الحقيقة أكثر اطلاعاً من عامة معاصريه على شؤون العالم العربي الإسلامي ؟ وكيف تيسر له الاطلاع على انتاج ابن عربي أو أبي العلاء المعري وكلاهما يتصف بالغموض والإبهام ؟ وأي دليل على أن مؤلفات هذين الكاتبين أو أي انتاج عربي آخر يبحث في فلسفة الحشر والنشر قد ترجم الى لغات غربية ؟ ان هذه جميعها مشكلات تقع في مجال أبحاث التاريخ الثقافي ، ويجب علينا حلها إذا أردنا إثبات أسباب التشابه بين فلسفة الحشر الإسلامية وفكرة الحشر عند دانتي كما أوردها آسين . وقد أجاب عنها آسين بقوله إنه ليس من البعيد أن يكون دانتي قد ألم بقليل من اللغة العربية (ولكن الأمر كما نعلم نحن المستشرقين حق العلم يقتضي أكثر من مجرد الإلمام بقليل من العربية لفهم مؤلفات أبي العلاء وابن عربي المعقدة !) ، وأشار آسين أيضاً إلى أنه قادر على أن يبين وجود اهتمام خاص بالتاريخ الاسلامي والثقافة الإسلامية في إنتاج

حتى يمثل أخيراً أمام عرش الله ؛ ثم يزور الفردوس ويرى ما فيـه من مباهج الطبيعة والمحبة ، ويتسلم من الله عز وجل القرآن الكريم وأوامر الصلاة اليومية والصوم[1] ، وتخفف هذه الأوامر فيما بعد استجابة لتوسلاته ، ومن ثم يرى جهنم ، ويطوف بأطباقها ودركاتها السبعة ، ويرى أنواع التعذيب فيها ، بينما يشرح له جبريل يوم القيامة والحساب على جسر الصراط . وعبثاً يحاول لدى عودته الى الأرض اقناع قريش بصدق رؤياه ، وقد دونها ، وشهد على صدقها كل من أبي بكر وابن عباس[2] بناءً على طلبـه . والصفات المميزة للمؤلف الأصلي محفوظة هنا بأمانة ، لا بنتيجة الأسلوب الأدبي الكتاب فحسب (هذا الأسلوب الذي على الرغم مما فيه من تشويه ، يأتي على ذكر عدد كبير من الأسماء والأماكن الواردة في الأصل العربي ، ويردد جملاً عربية كاملة في التسبيح والصلاة) ، بل لخلوه أيضاً من أي شرح أو إيضاحات دفاعاً عن الدين من وجهة النظر المسيحية ، وهكذا فاذا ماجرد النص من حلة اللغـات ذات الأصل اللاتيني التي وُضع فيها ، فاننا نجد فيه العقيدة الإسلاميـة الشعبية في الموضوع محفوظةً بكل ما فيها من صراحة لا تخلو من بعض البساطة .

وهذا الكتاب الذي جعله الملك في متناول يد الغرب المسيحي (في ما لا يقل عن ثلاثة أسفار وربما في أكثر من هذا العدد ، بدافع من حب الاستطلاع الثقافي أكثر من الرغبة في الدفاع عن وجهة النظر المسيحية) ، انتشر بصورة فعالة وبطرق متعددة ؛ وبوسعنا أن نتتبع ما كان له من وقع في اسبانيا وفرنسا وايطاليا . وبناءً على ما بَيَّنه شيرولي فان كتاب ابرهيم الفقين المترجم الى لغة قشتالة والذي لم يصل الينا هو المصدر الذي أخذ عنـه « سان بيدرو باسكال » خلاصته

---

(١) إنما فُرض الصومُ في السنة الثانية من الهجرة ، فبينه وبين فريضة الصلاة خمس سنوات . (لجنة المجلة)

(٢) ولد عبد الله بن عباس في السنة الثالثة قبل الهجرة (أي عام الإسراء والمعراج) كما في « الإصابة » وغيرها . (لجنة المجلة)

الطبيب والعالم اليهودي المشهور بترجماته لمؤلفات ابن الهيثم والزرقاني ، قد نقل الى اللغة القشتالية ، قبل عام ١٢٦٤ بزمن غير طويل ، وبأمر من الملك نفسه ، النص الشائع لقصة المعراج أو رحلة محمد في أنحاء العالم الآخر . وعن ترجمة ابرهيم القشتالية هذه ، وهي ترجمة مفقودة ، أخذ الكاتب الايطالي بونا ڤنتورا من أهل سيينة نص الترجمتين الفرنسية واللاتينية الموازيتين له ، ومخطوطة احداهما لا تزال محفوظة في اكسفورد ببريطانيا في حين حفظت مخطوطات الأخرى في باريس والفاتيكان . وقد نُشرت الترجمتان في آن واحد من قبل أنريكو شيرولي في ايطاليا ، وجوزيه مونوز سنديتو في اسبانيا .

واذا استثنينا المقدمة الوجيزة التي كتبها بونا ڤنتورا سيينة شارحاً أصل الكتاب ومبرراً الغاية من وضعه فنحن نجد بين أيدينا في الحالتين ترجمة أمينة حرفية ، وفق أساليب الترجمة في ذلك العصر ، لمؤلف عربي في فلسفة الحشر والنشر ، وقد يكون أصل هذا المؤلَّف مفقوداً ، ولكنه كان ولا شك شائعاً جداً في اسبانيا في القرن الثالث عشر ، كما أنه لا بد أن يكون لهذا الأصل علاقة بالنصوص الأخرى الشفوية الخاصة بفلسفة الحشر التي نسخها أو لخصها آسين في كتابه . ولكنه يمتاز عليها جميعاً بتناسقه وشموله الكاملين ، وفي مقاطع منه رونق أدبي قديم لا يخلو من قوة التأثير في النفس . أما القصة فهي معروفة : جبريل يوقظ محمداً من نومه في مكة ، ويأمره بامتطاء البراق ، ذلك الجواد المجنح الذي يحمله الى المسجد الأقصى ، ومن هناك يصعد الى السماء على درج ذهبي براق . ومن هنا أخذ اسم الكتاب الذي يتحدث عن أرجاء العالم الآخر . ويرى محمد (ﷺ) بعد ذلك ملاك الموت ، ثم يرى ملكاً بشكل ديك ، وآخر نصفه من نار ونصفه من ثلج [1] ويجتاز سبع سماوات ، يلتقي في كل منها بنبي ،

(١) هذا لم يصحّ رواية ولا دراية . (لجنة المجلة)

« ولكنه في كتابه (أي كتاب النبي محمد ﷺ) الذي يدعى المعراج
يسرد ترتيب طعام الطوباويين
ويتحدث عن كل تفاحة (أي كل ثمرة من ثمار الفردوس) ...»

ويعود الفضل في لفت الانتباه الى هذا المقطع البالغ الأهمية والمؤلف من أبيات ثلاثة الى شيرولي . ترى أي ثمن كان يدفعه آسين لهذا المقطع !

وهكذا تكون السلسلة قد اكتملت . لقد كانت أوربة الغرب أو بتعبير أدق ايطالية القرن الرابع عشر تمتلك نصوصاً موفورة مفصلة ، تمتاز بأمانة النقل ، عن نظرة الإسلام للعالم الآخر ، نصوصاً يستطيع أيّ شاء أن يقرأها بالاسبانية أو الفرنسية أو اللاتينية دونما حاجة الى معرفة كلمة واحدة من اللغة العربية . وما من شك في أن « ڤازيو » قرأها ، وقد أثبت ما قرأه في قصيدته التي لا تُعَدُّ من الشعر الرفيع ، وهي قصيدة فيها مزيج من الأساطير التاريخية الكونية ، يشهد موضوعها عليها بأنها تقليد لشعر دانتي . ونحن لو افترضنا أن مواطن ڤازيو وأستاذه العظيم لم يقتبس عن كتاب المعراج اقتباساً كبيراً فهل نستطيع أن ننفي الاحتمال بأن دانتي قد رأى كتاب المعراج ؟ وهو احتمال يوحي به تطابق مادة الموضوع ، والتماثل في نواح كثيرة محددة ، ووسيلة الانتقال التي ثبتت تاريخياً . إن التعصب القومي الثقافي - أو كما أوثر أن أفسر هذا التعصب بقولي التبلد الذهني المقرون بالخجل والافتقار الى دليل إيجابي - لم يعد يقوى على إنكار الافتراض الدال على الذكاء المتوقد الذي قدمه آسين قبل ثلاثين سنة وأمكن الآن اثباته بصورة رائعة ، وذلك من ناحية الحدس التي قام على أساسها .

غير ان إثبات حقيقة شيء ، وتقدير قيمتها والمكان اللائق بها ومدى أهميتها في مجموع هذه المادة شيء آخر . ترى كيف يمكننا أن نقدر قيمة الاحتمال الذي يكاد يكون الآن حقيقة واقعة مؤكدة ، وهو أن هذه الخلاصة

الضافيـة عن رحلة محمد (ﷺ) الى العالم الآخر كما وردت فيـ كتابه « Sobre La Seta Mahometana » الذي أشار اليه آسين وجعله مصدراً يحتمل أن يكون دانتي قد اعتمده . وعلى أساس المعلومات الدقيقة المتجمعة لدينا والحدس المعقول فان المخطوطات الثلاث المحفوظة لكتاب بونا ڤينتورا ، وجميعها من مطلع القرن الرابع عشر ، تحملنا الى مقاطعة بريتانية فيـ شمالي فرنسا (المخطوطة اللاتينيـة المحفوظة بباريس) ، والى انكلترة (مخطوطة اكسفورد الفرنسية) ، والى بروڤنس (مخطوطة الفاتيكان اللاتينية) ، وتدلنا على أن كتاب المعراج (Liber Scalæ) ما لبث أن شق طريقه الى ما وراء جبال البرانس . وأما فيما يتعلق باطلاع الايطاليين على هذا الكتاب فنحن إذا جعلنا تاريخ ترجمته عام ١٢٤٦ (وبذلك نكون قد تخلينا عن فكرة نقله على يد برونيتو لاتيني الذي سبقت سفارته لدى بلاط الفونسو التاريخ المذكور بأربع سنوات) فاننا نعثر على اقتباسين صريحين من قبل كاتبين ايطاليين ، أحدهما يلخص الكتاب تلخيصاً ضافياً مما يثبت أنه كان معروفاً في ايطاليا في منتصف القرن الرابع عشر وأواخر القرن الخامس عشر . ففي ذينك القرنين كانت كتابات راهب ابوليا الفرنسسكاني روبرتو كاراكشيولو الدينية معروفة ومشهورة ، وفي عهد السلالة الأراغونية في نابلي أورد روبرتو هذا في كتابه كلمـة الإيمان « Specchio della Fede » خلاصة لما وصفه هو « بالكتـاب الذي يدعوه المسلمون بالمعراج وبلغة العرب سلم محمد » . ولا ريب في أن هذا هو كتابنا وانه قد اطلع عليه بنص لاتيني . غير أن الشاعر التوسكاني ڤازيو ديغلي أوبرتي يدنينا أكثر كثيراً من دانتي من حيث الزمان والمكان ، فهو يصف في كتابه دتامندو (Dittamondo) الفردوس كما تخيله المسلمون ، منوهاً بكتـاب المعراج في قوله :

لا لَبس فيه ، وما كان ليخطر ببال لولا وجود السابقة الأولى . وبعبارة أخرى إن وجود كتاب المعراج ، وثبوت انتقاله الى عالم دانتي ، هما دليلان كافيان لأن يثبتا بصورة آلية الاعتماد المباشر للاحق على السابق في السلسلة الطويلة من أوجه التماثل التي أوردها آسين ، وهي أوجه التماثل في أسلوب التأليف وفي الفكر الأخلاقية واللاهوتية وفي الصور ورواية الحوادث ، وذلك من أسلوب تصميم الأقسام الثلاثة للعالم الآخر ، إلى أسلوب العقاب ، إلى مباهج الفردوس الأرضي ، إلى الرؤى التي تبهر الأبصار في الفردوس السماوي . ويرى مونوز أن سلسلة آسين القائمة على أساس أوجه الشبه واعتماد حلقة على أخرى ، لا تقبل النقض أو الجدل ، وكل ما ينقصها هو البرهان على وسيلة النقل التاريخية . ولما كنا قد وجدنا الآن هذه الحلقة في كتاب المعراج ، فقد انتهى الأمر وصار كل عنصر من عناصر الرؤى الاسلامية ، مهما غمض الشبه بينه وبين رؤيا دانتي ، يؤلف رابطة مباشرة بين الأصل والتقليد ، أو بين الأصل والفرع ، بل قُلْ رابطة بين السبب والأثر . وفي هذه الحال فالكوميديا الإلهية يجب أن تذكرنا في الحقيقة بجامع قرطبة العظيم الذي كُيِّفت أعمدته الشرقية المراكشية بما يتلاءم هو ومذهب التثليث المسيحي .

أما شيرولي فانه يبدي حساً تاريخياً أكثر حذراً (ولا ريب أنه لا يضمر أي تحيز قومي) ؛ وهو لا يرى أن قيام الدليل على معرفة ايطاليا للكتب التي تبحث فلسفة الحشر والنشر الإسلامية ، واحتمال اطلاع دانتي على هذه الكتب ، يكفيان في حد ذاتهما ليضعا بين أيدينا الدليل على شاعرية دانتي وروحانيته ومقدار إبداعه . وهو لا يتطرق إلى مشكلة « دانتي والإسلام » بالذات إلا في نهاية بحث كامل رائع حول « فلسفة الحشر والنشر الإسلامية وكتّاب الغرب في القرون الوسطى » ، وهو بحث جمع فيه شيرولي وحلل كل أثر من آثار معرفة كتاب الغرب المسيحيين للفكر الإسلامية عن العالم الآخر ، حتى ما كان

(Summa) عن فلسفة الحشر الإسلامية لم تكن مجهولة لدى مؤلف الكوميديا الإلهية ؟ وأي الاستنتاجات يمكن التوصل إليها من هذه المقارنة التي سبق أن أجراها في جوهرها آسين (ما دام ثابتاً أن معظم عناصر كتاب المعراج هذا كانت موجودة في المواد العربية الأخرى التي جمعها ودرسها) ؟ أي الاستنتاجات المنصفة يمكن التوصل إليها من مقارنة المصدر الشرقي بقصيدة دانتي ؟ وأود أن أكرر قولي إن اعتبارات الفن الشعري البحتة لا مكان لها هنا ، ولكن هنالك مشكلة كاملة من أوجه الشبه السيكولوجية والمعنوية والثقافية التي لا تعتبر المقارنة معها مشروعة فحسب بل ملائمة وواجبة . واذا كان البحث فيما اقتبسه دانتي من هذه النماذج وكيف اقتبسه عنها غير ذي أهمية للحكم على دانتي بصفة كونه شاعراً ، فانه عظيم الأهمية لايضاح المصدر الفكري لمعتقداته ، والموقف الديني الأساسي لروحه وطرائق انتقائه ودمجه هذه العناصر الأجنبية في ثقافته المتأهبة للاستيعاب ، أو بعبارة أخرى : ما هو مدى وما هي حدود هذا الاتصال بين فلسفة الحشر والنشر الإسلامية وبين « مضمون » – وهنا استعمل الكلمة بمعناها المألوف في فن الشعر – رؤيا دانتي ؟ أية تأثيرات محددة أثارها هذا الاتصال في تكوين القصيدة الملهمة ؟ وهل يستطيع المرء أن يتحدث عن اقتباس مباشر مادي يكاد يكون آلياً ، وعن أوجه التقابل في المفاهيم ، إن لم يكن في الفن الشعري ، أو أن يتحدث عن الأثر المتغلغل ، إن لم يكن المستبعد لسواه ، للرؤيا العربية السابقة ، في رؤيا الشاعر الايطالي .

ان هذه الناحية لأكثر عمقاً ودقة ، من نواحي القصيدة ، استأثرت باهتمام عالم واحد فقط من العالمين اللذين فسّرا كتاب المعراج ، أما بالنسبة الى العالم الآخر مونوز « Munoz » فالعلاقة بين الكتاب المذكور والكوميديا لا تعدو علاقة الأنموذج بالتقليد ، التقليد الذي عملت فيه بطبيعة الحال يد التحسين والتجميل ، وأضفت عليه صفة البهاء الروحي ، ولكنه على أي حال تقليد مباشر

أبسط كثيراً . فمن الوجهة التاريخية ليست هناك أهمية كبرى للأبيات المتعلقة بالنبي محمد (ﷺ) في المقطع الثامن والعشرين من قصيدة الجحيم ، إذ لا تتبدل فيها الصورة التقليدية التي كان يعزوها الغرب للنبي العربي في القرون الوسطى ، وقلما نجد في مؤلفات دانتي العقائدية مقتبسات عن مؤلفين مسلمين أمثال الفلكيين الذين عرفهم الغرب بأسماء : ألبوماسار (Albumasar) والفراغانو (Alfragano) والبتراغيو (Alpetragio) والفلاسفة ابن سينا وابن رشد ؛ واذا وجدت هذه المقتبسات فانما تكون قد أخذت بطريقة غير مباشرة عن البرتوس مانيوس (Albertus Magnus) وسان توماس : وعلى أي حال فالمؤلفات الإسلامية لم تكن متوفرة لدانتي إلاّ بالنص اللاتيني . وخلاصة القول أننا نجد أنفسنا مضطرين إزاء هـذا كله إلى إنكار وجود ذلك الاطلاع الخاص على العالم العربي الإسلامي والاهتمام الخاص به الذي يلحظه البعض في مؤلفات دانتي . ويبدو لنا أن معرفته بالعالم العربي الإسلامي لا تزيد على معرفة أي رجل واسع الاطلاع في عصره . ومع ذلك وبالنظر الى أن دانتي كان العالم الكبير والمفكر المتسع الثقافة (Clerk, Scholar) فان بعض الفكر الإسلامية الفلسفية والأخلاقية ـ وخاصةً المتعلق منها بفلسفة الحشر الإسلامية ـ قد تسربت الى شاعرنا بمعزل عن كتاب المعراج وعن غير طريقه : مثال ذلك نظرية ابن سينا وتعابيره عن النور ، المشار اليها اشارة صريحة في كتاب (Convitio) والمقطع الوارد في كتاب مجموعة طليطلة (Collectio Tolenta) والذي يتحدث عن بقعة فوق حاجب الروح القادمة حديثاً ، تزيلها الملائكة لدى دخولها الفردوس ، مما يعيد الى ذاكرتنا في الحال علامات الخطيئة السبع التي تمحي عن حاجب دانتي تدريجياً في أثناء صعوده شعاب المطهر ، وبهذا نصل أخيراً الى كتاب المعراج ، ومن المرجح أن يكون دانتي قد اطلع عليه ، فإلى أي حد كان الكتاب مصدر إلهام عام له ، وأي أثر خاص كان له فيه ؟

منها مستقلاً عن كتاب المعراج : فمن مؤلفات بولوجيوس والفاروس القرطبيين ، الى بتروالفونسو ، الى مجموعة طليطلة (Collectio Toletana) ، ومن غوغليو دالڤارينا الى جان دوڤيرني وغوغليو الطرابلسي ، ومن رامون مارتي الى لولو (Lullo) ، ومن توماس بورن الى روچر بيكن . وتبرز من هـذا البحث صورة كاملة مدهشة تجمع بين ما كتب من طراز الدفاع الركيك الشعبي عن العقيدة المسيحية ، وما في ذلك من مبالغة وتهويل شديدين بالنواحي الدنيوية والحسية للفردوس كما يصوّره القرآن (ونلاحظ هنا انه من وجهة النظر المسيحية فان مهاجمة الفكرة الإسلامية عن جهنم أشق كثيراً من مهاجمة فكرة الفردوس) ، وبين المحاولات الفلسفية ، التي اضطربت بتأثير قوة الفكر الإسلامي ولكنها لم تكن تجهله ، لإضفاء الصبغة الروحانية على عقوبات العالم الآخر ومباهجه وللتوفيق بين استقامة الرأي في العقيدة الدينية وتقرير فكرة سامية عن العالم الآخر . وقد بلغت مدرسة أكسفورد الغاية في مجال التفسير المسيحي للفكر الإسلامي في القرون الوسطى ، فقد درست هذه المدرسة بدقة متناهية نضال ابن سينا وابن رشد لوضع الغبطة الفلسفية المدركة إلى جانب النواحي الأُخرى من فلسفة الحشر والنشر الإسلامية في القرآن ، كما بلغ هـذه الغاية بطبيعة الحال ريموندو لولو ، المفسّر الكبير للعالم الإسلامى الذي عاش في القرن الثالث عشر واستقى معرفته عنه من المناهل الأَصلية الأَساسية ، فاستطاع أن يقدم لمعاصريه أصدق وأكمل صورة للفكر الإسلامي وبصورة خاصة لفلسفة الحشر والنشر العربية الإسلامية .

ولكن دعنا نهبط من هذا البحث العام الواسع الذي يدلل على القيمة الفريدة الفذة لدراسة شيرولي لنعود الى دراسة العلاقة المباشرة بين دانتي والإسلام تمهيداً لتقدير أثر كتاب المعراج في الكوميديا الإلهية تقديراً واقعياً . فنحن إذا درسنا مجمل معرفة دانتي بالديانة والعلوم والحضارة الإسلامية نصل الى نتائج

كان بالإمكان في كثير من الأحيان أن توفر لدانتي الإلهام نفسَهُ الذي يوفره له كتاب المعراج لتزويده بتفاصيل رؤياه . وهذه هي الحال مع نسر جوبتر الذي صوّره دانتي ، حيث يمكن توحيد المصادر الكلاسيكية ومصادر التوراة المعروفة ودمجها بالصورة الإسلامية للمَلَك الذي يتخذ شكل ديك كبير ويقف على الأرض السابعة ، ولكنه يرفع رأسه عالياً حتى يداني عرش الإله وينشد مسبحاً بحمده ومجده [1] . وكذلك فمن الواضح أن السلّم الالهي الذي يستخدمه الاله (Saturn) ، ذلك المرتقى الذهبي اللون ، قد استوحي في المقام الأول من سلم يعقوب الوارد ذكره في التوراة ، ولكن هذا لا يستبعد الالهام الجزئي من معراج محمد الممتد من القدس إلى الفردوس الذي أعطى كتاب المعراج اسمه . وهكذا فيما يتعلق بالمحاكمة على الجسر الدقيق المسمى بالسراط ، القائم أمام الفردوس ومن تحته الجحيم تفغر فاها ، فهي تبدو في نظر شيرولي مماثلة للمحاكمة بالنار التي يتعرض لها دانتي لبلوغ الفردوس الأرضي ، هذا الفردوس الذي تبدو الدوافع الاسلامية لوصفه وصفاً أقرب الى الحس وأكثر إيحاء ، رغم أنه ينبغي أن لا ننسى الدور الذي تلعبه في هذا الايحاء أساطير التوراة عن جنة عدن ، والأسطورة الكلاسيكية عن حالة البشرية البدائية البريئة المباركة التي يشير اليها دانتي بقوله :

لعل الذين أعلنوا في غابر الأزمنة في أناشيدهم
قيام العصر الذهبي والرغد الذي يسوده
إنما حلموا بذلك المكان على جبل « بارناسوس »

ان دانتي نفسه ليلفت انتباهنا في هذه الأبيات من الشعر الى الصور السامية التي كانت تسبح أمام خياله السامي عندما أبدع بمقاطعه الشعرية الثلاثية الخالدة الغابة الالهية كثيفة ونابضة بالحياة ؛ ومع ذلك فالمرء لا يستطيع أن ينكر

(١) ليس في الإسلام لحنٌ في هذا . (لجنة المجلة)

لقد أجاب شيرولي عن هذا السؤال إجابة تميزت بمنتهى الحكمة وذلك مراعاةً منه لا لمؤيدي دانتي بل للحقيقة ذاتها . فهو يظن ان قراءة الرؤيا الإسلامية يمكن أن تكون عند دانتي أحد الحوافز الخارجية التي حفزته الى معارضة ما كان يُفترض أنه كتاب مقدس في الإسلام (لأن هذا ما كان يعتقده الغرب في كتاب المعراج) ، بقصيدة مسيحية عن « رحلة الى الآخرة تسمو بصدق العقيدة والحذق الفني في معالجة أعظم مواضيع الملاحم الدينية ، على الصور الرائعة التي ربطها الاسلام ، بالفردوس والجحيم » ، بدون أن ننسى لحظة واحدة الدور الأولي الذي تلعبه في أصل القصيدة فكرة الحياة الجديدة (Vita Nuova) أو بالأحرى الحياة الجديدة نفسها والحياة المتقمصة المنقولة ، والرغبة في أن يقول في ملهمته بياتريس « ما لم يُقَل في أحد من قبل » . وفي نطاق هـذا التأثير العام نستطيع أن نعزو إلى السابقة الاسلامية فكرة الدليل الصابر الكريم ، مفسِّر جميع الأسئلة والشكوك (ويقوم بهذا الدور فرجيل وبياتريس مع دانتي وجبريل مع محمد) ، كذلك المسائل الدقيقة الكثيرة المتصلة بعلم الكون ، واللون المحلي الخاص لأقوال إله الجحيم بلوتوونمرود أو نمبروتي تلك الأقوال الغريبة التي تعيد إلى الذاكرة بعض العبارات العربية الواردة في النصوص اللاتينية لكتاب المعراج . ولكن دعنا الآن نواجه السيل الدافق من المتشابهات بين دانتي وكتاب المعراج . ان شيرولي عندما يستعرض أكثر هـذه المتشابهات اتصالاً بموضوع البحث لا يغيب عنه أن يؤكد أهمية كل منها ، ليس على حدة وانفصال ، بل كجزء متحد بالمصادر الأخرى العديدة للالهام التي كانت قريبـة المنال لدانتي ومألوفة بالنسبة الى ثقافته وخياله : ومنهـا المصادر الكلاسيكية الاغريقية اللاتينية ، والتوراة والإنجيل والمصادر المسيحية ، وهي مصادر ساهمت في تكوينه الروحي (ذلك لأن أي اطلاع خاص من قبله على أمور العالم العربي الإسلامي هو ، كما رأينا ، مجرد افتراض ووهم) ، تلك المصادر التي

لا ننسى ما يجزم به شيرولي في صفحاته الأخيرة التي تمتاز بروعة خاصة ، ألا وهو أنَّ دوافع الالهام والتفاصيل الروائية التي يمكن إرجاعها إلى مصادر عربية قد دخلت الكوميديا كجزء من بناء أوحى به كله مصدر آخر ، مختلف عنه ، ولكنه مثالي وفريد في نوعه ، ألا وهو المصدر المسيحي . ويوضح لنا شيرولي من هذا الاختلاف الأساسي في الروح ، هذا الاختلاف الذي يتميز تقريره والاعتراف به بما كان لبيضة كولمبس من طبيعة الوضوح الكامل والفعالية في حل المشاكل ، ناحية واحدة فقط نجملها في الأمور التالية وهي : الأهمية المطلقة للايمان في عقيدة الخلاص الاسلامية والأعمال كوسيلة للخلاص عند دانتي وفي المسيحية ، وتقرير أهمية البر والمحبة في العقيدة المسيحية كنقيض لمشيئة الله التعسفية [1] التي لا تقبل الجدل أو الاعتراض في الاسلام ، واختلاف قيمة الصلاة بين الطقوس الاسلامية الالزامية المضنية [2] من جهة وقوة المحبة الحية التي تفعل فعلها مع العدالة الالهية في الصلاة المسيحية . فليس باستطاعتنا اذن أن نتحدث عن انموذج وتقليد ، حتى ولو سلمنا باحتمال الانتقال المادي لصور وفكرٍ معينة ، ولا عن مجرد إضفاء الصبغة الروحية في حين يختلف الالهام الأساسي والموقف الأساسي اختلافاً جذرياً . ولذلك فإن المحرر الايطالي لكتاب المعراج يستنتج أن القصيدة المقدسة لا يمكن مقارنتها بجامع قرطبة ، المكرّس الآن لمذهب يختلف عن المذهب الذي أُنشئ هذا البناء الرائع في سبيله ، ولكن لكي نقدم مثالاً هندسياً أكثر ملاءمة لعلاقة دانتي بالعالم العربي ، يجدر بنا أن نلجأ الى ذلك العمود العربي الاسباني ، المنقوش عليه اسم صانعه المسلم والقائم في بناء مسيحي خالص ، من الوجهتين التاريخية والفنية وفي مجموعه وجميع تفاصيله ،

---

(١) ليس في الإسلام مشيئة تعسفية ، ولا إكراه ولا إلزام ، بل في القرآن الكريم « لا إكراه في الدين » وفيه « لكم دينكم ولي دين » . (لجنة المجلة)

(٢) ليس في العبادة الإسلامية طقوس . والصلاة المفروضة لا تحتمل أكثر من خمس دقائق ، وأما القداس الكنسي ففيه طقوس وأزياء مختلفة معروفة . (لجنة المجلة)

إنكاراً تامًّا ما حصل عليه شاعرنا من إلهام في عمله الابداعي من ذكريات (فردوس المباهج) ، في كتاب المعراج وما فيه من ملذات هادئة ، لكنها صبيانية ، وينبوع مزدوج يتحول في قصيدة دانتي الى نهري « ليث » و « يونوي » ، وحادث وصول زمرة جديدة من أرواح البشر والعرائس اللاتي كن في انتظار هذه الأرواح بحب وشغف . ولكن حتى في هذه الحالة فإن إمكانية وجود العنصر الاسلامي متحداً بعناصر أخرى كثيرة ، أعظم منه حيوية ورسوخاً في ذهن الشاعر ، أمر يجب أن لا يبالغ فيه الى حد يتعارض مع ما يمليه العقل أو يتعدى حد الاحتمال ، ويجب تبعاً لذلك أن لا يطلب إلينا اعتباره مصدراً رئيسياً وموجِّهاً للالهام . وإننا لنتساءل : ترى هل كان على دانتي أن يقرأ في كتاب المعراج عن حور محمد ليحلم أنه رأى من جديد في مجد الفردوس الأرضي بياتريس ، تلك التي كانت أسمى تجربة روحية في شبابه والنجم القطبي لحياته ؟ وهكذا يمر شيرولي مراً سريعاً خفيفاً بهذا الخضمّ الواسع من المتشابهات ، (لا بسبب السطحية ، بل لدقة وروعة المعالجة) مختبراً كلاًّ منها ازاء مبدئه الأساسي ، وهو ما نردّده هنا مرة أخرى ، الاعتراف باحتمال امتزاج الدافع الاسلامي مع عدد كبير من المصادر الأخرى التي كان لها دوماً المكان الاول في ذهن دانتي وروحه ، حتى ولو انه من الثابت تقريباً أن دانتي اطلع على كتاب المعراج ، ذلك النص الوحيد الذي فتح أمامه الباب المؤدي الى عالم آخر ، لولا ذلك لبقي غريباً عن روحه ، وغريباً عن القيم الأساسية لنفسه اللاتينية المسيحية ومناقضاً لها .

وهكذا فاننا عندما نحكم ، في تحليلنا النهائي ، على الصلة القائمة بين دانتي وكتاب المعراج أو أي عنصر آخر من عناصر فلسفة الحشر والنشر الاسلامية يمكن أن يكون قد اتصل بالشاعر بوسيلة من الوسائل [وهنا أفكر بصورة خاصة بالمواضيع الجدلية لمجموعة طليطلة (Callectio Toletana)] يجب أن

أبسط كثيراً . فمن الوجهة التاريخية ليست هناك أهمية كبرى للأبيات المتعلقة بالنبي محمد (ﷺ) في المقطع الثامن والعشرين من قصيدة الجحيم ، إذ لا تتبدل فيها الصورة التقليدية التي كان يعزوها الغرب للنبي العربي في القرون الوسطى ، وقلما نجد في مؤلفات دانتي العقائدية مقتبسات عن مؤلفين مسلمين أمثال الفلكيين الذين عرفهم الغرب بأسماء : ألبوماسار (Albumasar) والفراغانو (Alfragano) والبتراغيو (Alpetragio) والفلاسفة ابن سينا وابن رشد ؛ واذا وجدت هذه المقتبسات فانما تكون قد أخذت بطريقة غير مباشرة عن البرتوس مانيوس (Albertus Magnus) وسان توماس : وعلى أي حال فالمؤلفات الإسلامية لم تكن متوفرة لدانتي إلاّ بالنص اللاتيني . وخلاصة القول أننا نجد أنفسنا مضطرين إزاء هـذا كله إلى إنكار وجود ذلك الاطلاع الخاص على العالم العربي الإسلامي والاهتمام الخاص به الذي يلحظه البعض في مؤلفات دانتي . ويبدو لنا أن معرفته بالعالم العربي الإسلامي لا تزيد على معرفة أي رجل واسع الاطلاع في عصره . ومع ذلك وبالنظر الى أن دانتي كان العالم الكبير والمفكر المتسع الثقافة (Clerk, Scholar) فان بعض الفكر الإسلاميـة الفلسفية والأخلاقية ـ وخاصةً المتعلق منها بفلسفة الحشر الإسلامية ـ قد تسربت الى شاعرنا بمعزل عن كتاب المعراج وعن غير طريقه : مثال ذلك نظرية ابن سينا وتعابيره عن النور ، المشار اليها اشارة صريحة في كتاب (Convitio) والمقطع الوارد في كتاب مجموعة طليطلة (Collectio Tolenta) والذي يتحدث عن بقعة فوق حاجب الروح القادمة حديثاً ، تزيلها الملائكة لدى دخولها الفردوس ، مما يعيد الى ذاكرتنا في الحال علامات الخطيئة السبع التي تمحى عن حاجب دانتي تدريجياً في أثناء صعوده شعاب المطهر ، وبهذا نصل أخيراً الى كتاب المعراج ، ومن المرجح أن يكون دانتي قد اطلع عليه ، فإلى أي حد كان الكتاب مصدر إلهام عام له ، وأي أثر خاص كان له فيه ؟

منها مستقلاً عن كتاب المعراج : فمن مؤلفات بولوجيوس والفاروس القرطبيين ، الى بتروالفونسو ، الى مجموعة طليطلة (Collectio Toletana) ، ومن غوغليو دالقارينا الى جان دوڤيرتي وغوغليو الطرابلسي ، ومن رامون مارتي الى لولو (Lullo) ، ومن توماس يورن الى روجر بيكن . وتبرز من هـذا البحث صورة كاملة مدهشة تجمع بين ما كتب من طراز الدفاع الركيك الشعبي عن العقيدة المسيحية ، وما في ذلك من مبالغة وتهويل شديدين بالنواحي الدنيوية والحسية للفردوس كما يصوّره القرآن (ونلاحظ هنا انه من وجهة النظر المسيحية فان مهاجمة الفكرة الإسلامية عن جهنم أشق كثيراً من مهاجمة فكرة الفردوس) ، وبين المحاولات الفلسفية ، التي اضطربت بتأثير قوة الفكر الإسلامي ولكنها لم تكن تجهله ، لإضفاء الصبغة الروحانية على عقوبات العالم الآخر ومباهجه وللتوفيق بين استقامة الرأي في العقيدة الدينية وتقرير فكرة سامية عن العالم الآخر . وقد بلغت مدرسة أكسفورد الغاية في مجال التفسير المسيحي للفكر الإسلامي في القرون الوسطى ، فقد درست هذه المدرسة بدقة متناهية نضال ابن سينا وابن رشد لوضع الغبطة الفلسفية المدركة إلى جانب النواحي الأخرى من فلسفة الحشر والنشر الإسلامية في القرآن ، كما بلغ هـذه الغاية بطبيعة الحال ريموندو لولو ، المفسّر الكبير للعالم الإسلامى الذي عاش في القرن الثالث عشر واستقى معرفته عنه من المناهل الأصلية الأساسية ، فاستطاع أن يقدم لمعاصريه أصدق وأكمل صورة للفكر الإسلامي وبصورة خاصة لفلسفة الحشر والنشر العربية الإسلامية .

ولكن دعنا نهبط من هذا البحث العام الواسع الذي يدلل على القيمة الفريدة الفذة لدراسة شيرولي لنعود الى دراسة العلاقة المباشرة بين دانتي والإسلام تمهيداً لتقدير أثر كتاب المعراج في الكوميديا الإلهية تقديراً واقعياً . فنحن إذا درسنا مجمل معرفة دانتي بالديانة والعلوم والحضارة الإسلامية نصل الى نتائج